

سورة الزُّمَر

ويقال: سورة الغُرف. قال وهب بن مُنبه: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَ قِضَاءَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ فِي خَلْقِهِ فَلْيَقْرَأْ سُورَةَ الْغُرْفِ^(١). وهي مكيةٌ في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد. وقال ابن عباس: إلا آيتين نزلتا بالمدينة؛ إحداهما: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الآية: ٢٣] والأخرى: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: ٥٣]. وقال آخرون: إلا سبع آيات؛ من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ إلى آخر سبع آيات نزلت في وحشي وأصحابه على ما يأتي^(٢).

روى الترمذي عن عائشة قالت: كان رسولُ الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ «الزمر» وبني إسرائيل^(٣). وهي خمسٌ وسبعون آية^(٤). وقيل: اثنتان وسبعون آية^(٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ① إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ② أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ③ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ④ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ⑤

قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ رفع بالابتداء وخبره ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

(١) معاني القرآن للنحاس ١٤٧/٦ .

(٢) التكت والعيون ١١٣/٥ ، وينظر زاد المسير ١٦٠/٧ .

(٣) سنن الترمذي (٣٤٠٥).

(٤) تفسير البغوي ٧١/٤ .

(٥) ذكره السيوطي في الإتقان ٢١٤/١ .

ويجوز أن يكون مرفوعاً بمعنى: هذا تنزيلٌ، قاله الفراء^(١). وأجاز الكسائي والفراء أيضاً «تَنْزِيلَ» بالنصب على أنه مفعول به^(٢). قال الكسائي: أي: اتَّبِعُوا وَاقْرَأُوا «تَنْزِيلَ الْكِتَابِ». وقال الفراء: هو على الإغراء، مثل قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] أي: الزموا^(٣). والكتاب القرآن سُمِّيَ بذلك لأنه مكتوب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أي: هذا تنزيلُ الكتاب من الله، وقد أنزلناه بالحق؛ أي: بالصدق، وليس بباطل وهزل.

﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا﴾ فيه مسألتان:

الأولى: «مُخْلِصًا» نصب على الحال، أي: مُوَحَّدًا لا تُشْرِكُ به شيئاً ﴿لَهُ الَّذِينَ﴾ أي: الطاعة. وقيل: العبادة^(٤). وهو مفعول به.

﴿أَلَّا لِلَّهِ الَّذِينَ أَخْلَصُوا﴾ أي: الذي لا يشوبه شيء. وفي حديث الحسن عن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني أتصدق بالشيء، وأصنع الشيء أريد به وجه الله وثناء الناس. فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يقبلُ الله شيئاً شُورِكُ فيه» ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿أَلَّا لِلَّهِ الَّذِينَ أَخْلَصُوا﴾^(٥).

وقد مضى هذا المعنى في «البقرة» و«النساء» و«الكهف» مستوفى^(٦).

الثانية: قال ابن العربي^(٧): هذه الآية دليلٌ على وجوب النية الخالصة^(٨) في كل عمل، وأعظمه الوضوء الذي هو شَطْرُ الإيمان، خلافاً لأبي حنيفة والوليد بن مسلم

(١) في معاني القرآن ٤١٤/٢.

(٢) قرأ بها عيسى بن عمر وإبراهيم بن أبي عبلة، كما في القراءات الشاذة ص ١٣١.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤.

(٤) النكت والعيون ١١٤/٥.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/٤، والحديث لم تقف عليه.

(٦) ٣٢٣/٤ - ٣٢٤ - ٢٩٧/٦ وما بعدها و٣٩٨/١٣ وما بعدها.

(٧) في أحكام القرآن ١٦٤٤/٤.

(٨) قوله: الخالصة، ليس في (م) ولا في أحكام القرآن.

عن مالك اللدّين يقولان: إن الوضوء يكفي من غير نية، وما كان ليكون من الإيمان شطراً، ولا ليُخْرِجَ الخطايا من بين الأظافر والشعر بغير نية.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني الأصنام، والخبر محذوف. أي: قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(١) قال قتادة: كانوا إذا قيل لهم: مَنْ رَبُّكُمْ وخالفكم؟ وَمَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً؟ قالوا: الله، فيقال لهم: ما معنى عبادتكم الأصنام؟ قالوا: لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، ويشفعوا لنا عنده^(٢).

قال الكلبي: جواب هذا الكلام في «الأحقاف»: ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾ [الآية: ٢٨] والزُّلْفَى القُرْبَى؛ أي: لِيُقَرِّبُونَا إِلَيْهِ تَقْرِيْبًا، فوضع «زُلْفَى» في موضع المصدر^(٣).

وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس ومجاهد: «والذين اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» قالوا ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى» وفي حرف أبي: «والذين اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ما نَعْبُدُكُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى» ذكره النحاس^(٤). قال: والحكاية في هذا بيّنة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين أهل الأديان يوم القيامة فيُجازي كلًّا بما يستحق^(٥). ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ أي: مَنْ سبق له القضاء بالكفر لم يهتد؛ أي: للذين الذي ارتضاه، وهو دين الإسلام؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وفي هذا ردٌّ على القدرية وغيرهم على ما تقدّم. قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: لو أراد

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/٤، والمحرر الوجيز ٤/٥١٨.

(٢) تفسير البغوي ٤/٧١.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/٤.

(٤) في معاني القرآن ٦/١٥٠ - ١٥١، وذكر القراءتين ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٥١٨.

(٥) زاد المسير ٧/١٦٢.

أَنْ يُسْمِيَ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ بِهَذَا مَا جَعَلَهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ. ﴿سُبْحٰنَهُ﴾ أَي: تَنْزِيهًا لَهُ عَنْ (١) الْوَلَدِ ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً ۚ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ فِي بَطُونَ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ فِي ظَلَمْتِ ۗ فَتَلَاثٌ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أَي: هُوَ الْقَادِرُ عَلَى الْكَمَالِ، الْمُسْتَغْنِي عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ، وَمَنْ كَانَ هَكَذَا فَحَقُّهُ أَنْ يُفْرَدَ بِالْعِبَادَةِ، لَا أَنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ. وَبِهَذَا عَلَى أَنْ لَهُ أَنْ يَتَعَبَّدَ الْعِبَادُ بِمَا شَاءَ، وَقَدْ فَعَلَ.

قوله تعالى: ﴿يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ قَالَ الضَّحَّاكُ: أَي: يُلْقِي هَذَا عَلَى هَذَا وَهَذَا عَلَى هَذَا. وَهَذَا عَلَى مَعْنَى التَّكْوِيرِ فِي اللُّغَةِ (٢)، وَهُوَ طَرَحَ الشَّيْءِ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ؛ يُقَالُ: كَوَّرَ الْمَتَاعَ، أَي: أَلْقَى بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ؛ وَمِنْهُ كَوَّرَ الْعِمَامَةَ (٣).

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ [غَيْرِ] هَذَا فِي مَعْنَى الْآيَةِ. قَالَ: مَا نَقَصَ مِنَ اللَّيْلِ دَخَلَ فِي النَّهَارِ، وَمَا نَقَصَ مِنَ النَّهَارِ دَخَلَ فِي اللَّيْلِ (٤). وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الْحَجَّ: ٦١].

وَقِيلَ: تَكْوِيرُ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ: تَغْشِيَتُهُ إِيَّاهُ حَتَّى يُذْهَبَ ضَوْؤُهُ، وَيُغْشِي النَّهَارَ

(١) فِي النِّسْخِ الْخَطِيئَةِ وَإِعْرَابِ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ (وَالْكَلَامُ مِنْهُ) ٤/٤ : مِنْ، وَالْمُثَبِّتُ مِنْ (م).

(٢) إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ ٤/٤ .

(٣) زَادَ الْمَسِيرُ ١٦٣/٧ .

(٤) إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ ٤/٤ ، وَمَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْهُ.

على الليل فيذهب ظلمته، وهذا قول قتادة^(١). وهو معنى قوله تعالى: ﴿يُعْشَىٰ الْاَيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا﴾ [الأعراف: ٥٤].

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي: بالطلوع والغروب لمنافع العباد. ﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَكَّتٍ﴾ أي: في فلكه إلى أن تنصرم الدنيا، وهو يوم القيامة حتى^(٢) تنفطر السماء وتنتثر الكواكب. وقيل: الأجل المسمى هو الوقت الذي ينتهي فيه سيرُ الشمس والقمر إلى المنازل المرتبة لغروبها وطلوعها.

قال الكلبي: يسيران إلى أقصى منازلهما، ثم يرجعان إلى أدنى منزلتهما لا يجاوزانه. وقد تقدّم بيان هذا في سورة «يس»^(٣). ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ «ألا» تنبيه، أي: تنبهوا، فإني أنا «العزیز» الغالب «الغفار» الساتر لذنوب خلقه برحمته.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني: ليحصل التناسل، وقد مضى هذا في «الأعراف»^(٤) وغيرها.

﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّنْزَلًا﴾ أخبر عن الأزواج بالنزول، لأنها تكوّنت بالنبات، والنبات بالماء المنزل. وهذا يُسمّى التدرّج^(٥)؛ ومثله قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ يَا سَاءَ الْآيَةَ﴾ [الأعراف: ٢٦]. وقيل: أنزل: أنشأ وجعل. وقال سعيد بن جبّير: خلّق. وقيل: إن الله تعالى خلّق هذه الأنعام في الجنة، ثم أنزلها إلى الأرض^(٦)؛ كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ فإن آدم لما هبط إلى الأرض أنزل معه الحديد. وقيل: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ حَبًّا﴾ أي: أعطاكم. وقيل: جعل الخلق

(١) النكت والعيون ١١٥/٥، وأخرجه الطبري ١٦٠/٢٠ بنحوه.

(٢) كذا في النسخ: حتى، وفي هامش (ز): لعلّه حين. قلنا: هو أوجه.

(٣) ٤٥٠/١٧ وما بعدها، وسلف قول الكلبي ٤٤٤/١٧.

(٤) ٤٠٨/٩.

(٥) المحرر الوجيز ٥٢٠/٤.

(٦) النكت والعيون ١١٥/٥.

إنزالاً؛ لأن الخلق إنما يكون بأمر ينزل من السماء. فالمعنى: خلق لكم كذا بأمره النازل^(١).

قال قتادة: من الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، كل واحد زوج^(٢). وقد تقدّم هذا^(٣).

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ قال قتادة والسدي: نُطفة، ثم علقة، ثم مُضغة، ثم عظماً، ثم لحماً. ابن زيد: ﴿خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾: خلقاً في بطون أمهاتكم من بعد خلقكم في ظهر آدم. وقيل: في ظهر الأب، ثم خلقاً في بطن الأم، ثم خلقاً بعد الوضع. ذكره الماوردي^(٤).

﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة. قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك^(٥). وقال ابن جبير: ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة الليل^(٦). والقول الأول أصح. وقيل: ظلمة صُلب الرجل وظلمة بطن المرأة وظلمة الرحم. وهذا مذهب أبي عبيدة^(٧). أي: لا تمنعه الظلمة كما تمنع المخلوقين^(٨). ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ﴾ أي: الذي خلق هذه الأشياء ﴿رَبِّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، ﴿فَأَن تَصْرُفُونَ﴾ أي: كيف تنقلبون وتنصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره^(٩).

وقرأ حمزة: «إِمَّهَاتِكُمْ» بكسر الهمزة والميم. والكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم. الباقون بضم الهمزة وفتح الميم^(١٠).

(١) المحرر الوجيز ٤/٥٢٠ بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري ٢٠/١٦٣.

(٣) ٧٦/٩.

(٤) النكت والعيون ٥/١١٥، وأقوال قتادة والسدي وابن زيد أخرجه الطبري ٢٠/١٦٤ - ١٦٥.

(٥) أخرجه الطبري ٢٠/١٦٥ - ١٦٦.

(٦) النكت والعيون ٥/١١٦ دون نسبة.

(٧) مجاز القرآن ٢/١٨٨، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في معاني القرآن ٦/١٥٤.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٤/٤.

(٩) تفسير الطبري ٢٠/١٦٧.

(١٠) قراءة حمزة والكسائي في الوصل. السبعة ص ٢٢٧ - ٢٨٨، والتيسير ص ٩٤.

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْكُمْ﴾ شرط وجوابه. ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ أي: أن يكفروا، أي: لا يُحِبُّ ذلك منهم. وقال ابن عباس والسدي: معناه: لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، وكقوله: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] أي: المؤمنون^(١). وهذا على قول من لا يفرق بين الرضا والإرادة.

وقيل: لا يرضى الكفر وإن أَرَادَهُ؛ فالله تعالى يُريد الكفر من الكافر وِبَارَادَتِهِ كَفَرَ، ولا يرضاه^(٢) ولا يُحِبُّهُ، فهو يريد كون ما لا يرضاه، وقد أراد الله عز وجل خَلْقَ إبليس وهو لا يرضاه، فالإرادة غير الرضا. وهذا مذهب أهل السنة^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي: يرضى الشكر لكم؛ لأنَّ «تَشْكُرُوا» يدلُّ عليه. وقد مضى القول في الشكر في «البقرة»^(٤) وغيرها. ويرضى بمعنى يُثِيبُ ويُنْثِي، فالرضا على هذا إما ثوابه فيكون صفة فعل ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وإما ثأؤه، فهو صفة ذات.

و«يَرْضَهُ» بالإسكان في الهاء قرأ أبو جعفر^(٥) وأبو عمرو وشيبة وهبيرة عن عاصم. وأشبع الضممة ابنُ ذكوان وابنُ كثير وابنُ محيصن والكسائي وورش عن

(١) تفسير البغوي ٧٢/٤، وأخرجه بنحوه عنهما الطبري ١٦٨/٢٠.

(٢) في (م): كفر لا يرضاه.

(٣) ذكر هذه المسألة الرازي في تفسيره ٢٤٦/٢٦-٢٤٧.

(٤) ١٠٤/٢ وما بعدها.

(٥) قراءة أبي جعفر في رواية ابن جَمَاز.

نافع^(١). واختلس الباقون.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ
يَذَاتِ الصُّدُورِ﴾ تقدم في غير موضع^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ
نَسَىٰ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ
قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ
الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو
الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾ يعني الكافر ﴿ضُرٌّ﴾ أي: شدة من الفقر والبلاء
﴿دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ أي: راجعاً إليه، مُحِبِّباً مطيعاً له، مُسْتغِيثاً به في إزالة تلك الشدة
عنه.

﴿ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ أي: أعطاه ومَلَّكه. يقال: حَوَّلَكَ الله الشيء، أي:
ملَّك إياه؛ وكان أبو عمرو بن العلاء ينشد:

هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَحْوَلُوا الْمَالُ يُحْوَلُوا وَإِنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وَإِنْ يَيْسَرُوا يُغْلَوُا^(٣)
وَحَوْلُ الرَّجُلِ: حَشْمُهُ، الواحد خائل^(٤). قال أبو النجم:

أَعْطَى فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ يُبْخَلْ كُومِ الذَّرَى مِنْ حَوْلِ الْمُحْوَلِ^(٥)

(١) المشهور عن ورش أنه قرأ بضم الهاء من غير صلة. السبعة ص ٥٦٠، والتيسير ص ١٨٩، والنشر
٣٠٧/١ - ٣٠٨.

(٢) ١٤٥/٩ و ٤٢/١٣.

(٣) معاني القرآن للنحاس ١٥٥/٦، والبيت لزهير، ويروى: هنالك إن يُسْتَحْوَلُوا يُحْوَلُوا.. وقد سلف بهذه
الرواية ٤٤٨/١. وقوله: إن يَيْسَرُوا يُغْلَوُا، أي: إذا قاموا بالميسر يأخذون سمان الجزر فيقامرون
عليها، ولا ينحرون إلا غالبية. قاله الشتمري في شرح ديوان زهير ص ٢٢.

(٤) الصحاح (خول).

(٥) ديوان أبي النجم ص ١٧٥.

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: نسي ربّه الذي كان يدعوّه من قبل في كَشَف الضَّر عنه. ف «ما» على هذا الوجه لله عز وجل، وهي بمعنى الذي. وقيل: بمعنى مَنْ، كقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] والمعنى واحد. وقيل: نسي الدعاء الذي كان يتضرع به إلى الله عز وجل. أي: ترك كون الدعاء منه إلى الله، ف «ما» والفعل على هذا القول مصدر^(١). ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أي: أوثاناً وأصناماً. وقال السدي: يعني: أنداداً من الرجال يعتمدون عليهم في جميع أمورهم^(٢). ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: ليقبدي به الجهال.

﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ أي: قل لهذا الإنسان: «تمتّع» وهو أمرٌ تهديد، فمتاع الدنيا قليل. ﴿إِنَّكَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ أي: مصيرك إلى النار.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلِيلٌ مِّنْ أَهْلِ النَّارِ﴾ بين تعالى أن المؤمن ليس كالكافر الذي مضى ذكره. وقرأ الحسن وأبو عمرو وعاصم والكسائي: «أَمَّنْ» بالتشديد. وقرأ نافع وابن كثير ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة: «أَمَّنْ هُوَ» بالتخفيف على معنى النداء^(٣)؛ كأنه قال: يا من هو قانت. قال الفراء^(٤): الألف بمنزلة يا، تقول: يا زيدُ أقبل، وأزيدُ أقبل. وحكي ذلك عن سيبويه وجميع النحويين؛ كما قال أوس بن حجر: أبني لبيني لستُم بيدي إلا يداً ليست لها عضد^(٥) وقال آخر هو ذو الرمة:

أداراً بحزوى هجتٍ للعينِ عبرةً فماء الهوى يرفضُ أو يتفرقُ^(٦)

(١) المحرر الوجيز ٤/٥٢٢ بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري ٢٠/١٧٣ بنحوه.

(٣) السبعة ص ٥٦١، والتيسير ص ١٨٩.

(٤) في معاني القرآن ٢/٤١٦.

(٥) ديوان أوس بن حجر ص ٢١.

(٦) ديوان ذي الرمة ١/٤٥٦. قال شارحه أبو نصر: ماء الهوى، أراد الدمع الذي يدمعه من الهوى، يرفض: يسيل متفرقاً.

فالتقدير على هذا «قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» يا مَنْ هو قانتٌ، إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ؛ كما يقال في الكلام: فلانٌ لا يُصَلِّي ولا يصوم، فيا مَنْ يُصَلِّي وَيَصُومُ أَبْشِرْ؛ فحذف لدلالة الكلام عليه.

وقيل: إنَّ الألفَ في «أَمَّنْ» أَلْفٌ استفهام، أي: «أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ أَنَاءَ اللَّيْلِ» أفضلُ؟ أم مَنْ جعل لله أنداداً؟ والتقدير: الذي هو قانتٌ خيرٌ.

وَمَنْ شَدَّدَ «أَمَّنْ» فالمعنى: العاصون المتقدم ذكرهم خيرٌ «أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ»؟، فالجملة التي عادت أم محذوفة، والأصل: أم مَنْ، فأدغمت في الميم. النحاس^(١): وأم بمعنى بل، وَمَنْ بمعنى الذي؛ والتقدير: بل^(٢) الذي هو قانتٌ أفضلُ ممن ذُكِرَ.

وفي قانت أربعة أوجه: أحدها: أنه المُطِيع؛ قاله ابن مسعود. الثاني: أنه الخاشعُ في صلاته؛ قاله ابن شهاب. الثالث: أنه القائم في صلاته؛ قاله يحيى بن سلام. الرابع: بأنه الداعي لربه^(٣). وقول ابن مسعود يجمع ذلك. وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «كُلُّ قنوتٍ في القرآن فهو طاعةٌ لله عزَّ وجلَّ»^(٤). ورُوِيَ عن جابر عن النبي ﷺ أنه سُئِلَ: أيُّ الصلاة أفضلُ؟ فقال: «طولُ القنوت»^(٥) وتأولَه جماعةٌ من أهل العلم على أنه طول القيام.

وروى عُبيد الله^(٦) عن نافع عن ابن عمر سُئِلَ عن القنوت فقال: ما أعرفُ القنوت إلا طولَ القيام، وقراءة القرآن. وقال مجاهد: من القنوت طولُ الركوع وغيضُ البصر، وكان العلماء إذا وقفوا في الصلاة غَضُّوا أَبْصارَهُمْ، وخضعوا ولم يلتفتوا في

(١) إعراب القرآن ٣/ ٥ - ٦ وما قبله منه بنحوه، وينظر الحجة للفراسي ٦/ ٩٢ - ٩٣.

(٢) في النسخ: أم، والمثبت من البحر المحيط ٧/ ٤١٩.

(٣) النكت والعيون ٥/ ١١٧.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٨٢٩) وفي إسناده رشدين بن سعد، وهو ضعيف، كما في التقريب وسلف ١٦/ ٤١٦.

(٥) أخرجه مسلم (٧٥٦)، وسلف ٢/ ٣٣٤.

(٦) في (د) و(م) وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٦ (والكلام منه): عبد الله، والمثبت موافق لمصادر التخریج، وهو عبید الله بن عمر العمري، والأثر أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٣٠٦، والطبري ٢٠/ ١٧٦.

صلاتهم، ولم يعشوا ولم يذكروا شيئاً من أمر الدنيا إلا ناسين.

قال النحاس^(١): أصلُ هذا أن القنوت الطاعة، فكلُّ ما قيل فيه فهو طاعة لله عز وجل، فهذه الأشياء كلها داخلة في الطاعة وما هو أكثر منها كما قال نافع: قال لي ابن عمر: قُمْ فصلٌ، فقمْتُ أصلي وكان عليّ ثوبٌ خَلَقٌ، فدعاني فقال لي: رأيتُ لو وجَّهتك في حاجة، أكنتَ تمضي هكذا؟ فقلت: كنت أتزيّن، قال: فاللهُ أحقُّ أن تتزيّن له^(٢).

واختلف في تعيين القانت هاهنا، فذكر يحيى بن سلام أنه رسولُ الله ﷺ. وقال ابن عباس في رواية الضحاك عنه: هو أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. وقال ابن عمر: هو عثمانُ رضي الله عنه. وقال مقاتل: إنه عمّار بن ياسر. الكلبي: صُهيب وأبو ذرّ وابن مسعود. وعن الكلبي أيضاً أنه مرسلٌ فيمن كان على هذه الحال^(٣).

﴿إِنَّهُ أَلَيْلٌ﴾ قال الحسن: ساعاته؛ أوله وأوسطه وآخره. وعن ابن عباس: ﴿إِنَّهُ أَلَيْلٌ﴾ جوف الليل^(٤). قال ابن عباس: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُهَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْوَقُوفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيَبْرَهُ اللَّهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ، وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ^(٥). وقيل: ما بين المغرب والعشاء^(٦). وقول الحسن عام.

﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ قال سعيد بن جبیر: أي: عذاب الآخرة^(٧).
﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ أي: نعيم الجنة. ورُوي عن الحسن أنه سُئل عن رجل يتمادى

(١) في إعراب القرآن ٦/٤، وما قبله منه.

(٢) أخرجه بنحوه عبد الرزاق في المصنف (١٣٩٠) و(١٣٩١).

(٣) النكت والعيون ٥/١١٧، وينظر تفسير البغوي ٧٣/٤، وزاد المسير ١٦٦/٧ - ١٦٧.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٦/٤.

(٥) المحرر الوجيز ٤/٥٢٣.

(٦) النكت والعيون ٥/١١٧.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٦/٤.

في المعاصي ويرجو فقال: هذا مَتَمَّنٌ^(١).

ولا يقف على قوله: «رَحْمَةً رَبِّي» مَنْ خَفَّفَ «أَمَّنْ هُوَ قَائِتٌ» على معنى النداء؛ لأن قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ متصلٌ إلا أن يُقَدَّرَ في الكلام حذفٌ، وهو أيسر^(٢)، على ما تقدَّم بيانه. قال الزجاج^(٣): أي: كما لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون كذلك لا يستوي المُطِيع والعاصي.

وقال غيره: الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، فأما من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فهو بمنزلة مَنْ لم يعلم.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي: أصحاب العقول من المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: قل: يا محمد لعبادي المؤمنين: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: اتقوا معاصييه، والتاء مُبدلة من واو، وقد تقدم^(٤). وقال ابن عباس: يريد جعفر بن أبي طالب والذين خرجوا معه إلى الحبشة^(٥). ثم قال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ يعني بالحسنة الأولى الطاعة، وبالثانية الثواب في الجنة. وقيل: المعنى: للذين أحسنوا في الدنيا حسنة في الدنيا، يكون ذلك زيادةً على ثواب الآخرة، والحسنة الزائدة في الدنيا الصحة والعافية والظفر والغنيمة^(٦). قال القشيري: والأول أصح؛ لأن الكافر قد ينال^(٧) نِعَمَ الدنيا.

(١) الكشاف ٣/٣٩٠.

(٢) المحرر الوجيز ٤/٥٢٢ - ٥٢٣.

(٣) في معاني القرآن ٤/٣٤٧، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤/٧، وما بعده منه.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/٧، وتقدم ١/٢٤٨ وما بعدها.

(٥) المحرر الوجيز ٤/٥٢٣ دون نسبة.

(٦) النكت والعيون ٥/١١٨ بنحوه.

(٧) في (م): نال.

قلت: وينالها معه المؤمن ويُزاد الجنة إذا شكر تلك النعم. وقد تكون الحسنة في الدنيا الثناء الحسن، وفي الآخرة الجزاء.

﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً﴾ فهذا جروا فيها ولا تُقيموا مع من يعمل بالمعاصي. وقد مضى القول في هذا مستوفى في «النساء»^(١). وقيل: المراد أرض الجنة؛ رغبهم في سعتها وسعة نعيمها^(٢)؛ كما قال: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] والجنة قد تُسمى أرضاً؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَدُّهُ وَأَوْثَقَنَا الْأَرْضَ نَبْرًا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤] والأول أظهر، فهو أمر بالهجرة. أي: ارحلوا من مكة إلى حيث تأمنوا^(٣).

الماوردي^(٤): وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِسَعَةِ الْأَرْضِ سَعَةَ الرِّزْقِ؛ لأنه يرزقهم من الأرض فيكون معناه: ورزق الله واسع، وهو أشبه؛ لأنه أخرج سعتها مُخْرَجِ الامتتان.

قلت: فتكون الآية دليلاً على الانتقال من الأرض الغالية إلى الأرض الراضية؛ كما قال سفيان الثوري: كن في موضع تملأ فيه جرابك خبزاً بدرهم. ﴿إِنَّمَا يَوْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: بغير تقدير. وقيل: يُزاد على الثواب؛ لأنه لو أعطِيَ بقدر ما عَمِلَ لكان بحساب. وقيل: «بغير حساب» أي: بغير متابعة ولا مُطالبة كما تقع المطالبة بنعيم الدنيا^(٥).

و«الصَّابِرُونَ» هنا الصائمون؛ دليله قوله عليه الصلاة والسلام مُخْبِرًا عن الله عزَّ وجلَّ: «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»^(٦). قال أهل العلم: كلُّ أَجْرٍ يُكَالُ كَيْلًا وَيُوزَنُ

(١) ٦٥/٧ وما بعدها.

(٢) النكت والعيون ١١٨/٥.

(٣) تفسير الرازي ٢٦/٢٥٣ بنحوه.

(٤) النكت والعيون ١١٨/٥.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٧/٤.

(٦) قطعة من حديث أبي هريرة ؓ أخرجه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١)، وسلف ٦٧/٢.

وزناً إلا الصبر^(١)، فإنه يُحْتَى حَثْوًا وَيُغْرَفُ غَرْفًا؛ وَحُكِيَ عن علي ؑ.

وقال مالك بن أنس في قوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال: هو الصبرُ على فجاج الدنيا وأحزانها. ولا شك أن كل من سلّم فيما أصابه، وترك ما نُهي عنه، فلا مقدارَ لأجره^(٢).

وقال قتادة: لا والله، ما هناك مكيال ولا ميزان؛ حدثني أنس أن رسولَ الله ﷺ قال: «تُنْصَبُ الموازين، فيؤْتَى بأهل الصَّدَقَةِ فيُؤْفَوْنَ أُجُورَهُم بِالْمِوَازِينِ، وكذلك الصلاة والحج، ويؤْتَى بأهل البلاء فلا يُنْصَبُ لهم ميزان ولا يُنْشَرُ لهم ديوان، ويُصَبُّ عليهم الأجر بغير حساب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تُقَرَّضَ بالمقاريض مما يذهبُ به أهل البلاء من الفضل»^(٣).

وعن الحسن بن علي^(٤) رضي الله عنهما قال: سمعتُ جدي رسولَ الله ﷺ يقول: «أدُّ الفرائضَ تكن من أعبدِ الناس، وعليك بالقنوع تكن من أغنى الناس، يا بُنَيَّ، إن في الجنة شجرةً يقال لها: شجرة البلوى، يُؤْتَى بأهل البلاء فلا يُنْصَبُ لهم ميزان، ولا يُنْشَرُ لهم ديوان، يُصَبُّ عليهم الأجر صبًّا، ثم تلا النبي ﷺ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾»^(٥).

ولفظ صابر يُمدح به، وإنما هو لمن صَبَرَ عن المعاصي، وإذا أردت أنه صبر على

(١) في النسخ: الصوم، والمثبت موافق لمعنى ما في المصادر. ينظر النكت والعيون ١١٩/٥، وتفسير البغوي ٧٤/٤.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١٦٤٤/٤ - ١٦٤٥.

(٣) قول قتادة أخرجه الطبري ١٧٩/٢٠، وحديث أنس ؑ أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور ٣٢٣/٥.

(٤) في (د) و(ز) و(ف) و(م): الحسين بن علي، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لمصادر الحديث.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٧٦٠) دون قوله: «.. إن في الجنة شجرة..» إلى آخره، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٥/٣: وفيه سعد بن طريف، وهو ضعيف جداً. قلنا: قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب: متروك، ورواه ابن حبان بالوضع. وقوله منه: «أدُّ الفرائض تكن من أعبدِ الناس، وعليك بالقنوع تكن من أغنى الناس» أخرجه الدارقطني في اللعل ٨٤/٥ من حديث ابن مسعود ؑ، وقال الدارقطني: رفعه وهم، والصحيح من قول ابن مسعود ؑ.

المصيبة قلت: صابر على كذا؛ قاله النحاس^(١). وقد مضى في «البقرة» مستوفى^(٢).

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُئِمِّنُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُمُ يَبْعَادُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ تقدم أول السورة ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة، وكذلك كان؛ فإنه كان أول من خالف دين آبائه، وخلع الأصنام وحطمها، وأسلم لله وآمن به، ودعا إليه ﷺ.

واللام في قوله: «لِأَنْ أَكُونَ» صلة زائدة؛ قاله الجرجاني وغيره. وقيل: لام أجل. وفي الكلام حذف، أي: أمرت بالعبادة «لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ».

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يريد عذاب يوم القيامة. وقاله حين دعاه قومه إلى دين آبائه؛ قاله أكثر أهل التفسير^(٣).

وقال أبو حمزة الثمالي وابن المسيب: هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] فكانت هذه الآية من قبل أن يغفر ذنب النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ﴾ «الله» نصب بـ «أَعْبُدُ»^(٤) ﴿مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ طاعتي وعبادتي. ﴿فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أمر تهديد ووعيد وتوبيخ؛ كقوله تعالى: ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]. وقيل: منسوخة بآية السيف^(٥).

(١) في إعراب القرآن ٧/٤.

(٢) ٤٦٣/٢ وما بعدها.

(٣) تفسير البيهقي ٧٤/٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٧/٤.

(٥) زاد المسير ١٦٩/٧، قال ابن الجوزي: وهذا باطل، لأنه لو كان أمراً، كان منسوخاً، فأما أن يكون بمعنى الوعيد فلا وجه لنسخه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَيْرِينَ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال ميمون بن مهران عن ابن عباس: ليس من أحد إلا وقد خلق الله له زوجة في الجنة، فإذا دخل النار خسر نفسه وأهله^(١). وفي رواية عن ابن عباس: فمن عمل بطاعة الله كان له ذلك المنزل والأهل إلا ما كان له قبل ذلك^(٢)، وهو قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَرِيمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠].

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ سُمِّيَ ما تحتهم ظُللاً؛ لأنها تُظَلُّ مَنْ تحتهم، وهذه الآية نظيرُ قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ قَوْفِهِمْ غَوَاشٍ﴾^(٣) [الأعراف: ٤١]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ قَوْفِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥].

﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُمْ﴾ قال ابن عباس: أولياءه. ﴿يَعْبَادُوا فَاتَّقُونَ﴾ أي: يا أوليائي فخافون. وقيل: هو عامٌّ في المؤمن والكافر. وقيل: خاصٌّ بالكفار.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَمِيزُوا عِبَادَ اللَّهِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ قال الأخفش^(٤): الطاغوت جمع، ويجوز أن تكون واحدة مؤنثة. وقد تقدم^(٥). أي: تباعدوا من الطاغوت، وكانوا منها على جانب فلم يعبدوها. قال مجاهد وابن زيد: هو الشيطان. وقال الضحاك والسدي: هو الأوثان. وقيل: إنه الكاهن. وقيل: إنه اسمٌ أعجمي مثل:

(١) إعراب القرآن للنحاس ٨/٤.

(٢) تفسير البغوي ٧٤/٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) في معاني القرآن ٦٧١/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٨/٤.

(٥) ٤٦١/٦.

طالوت وجالوت وهاروت، ماروت. وقيل: إنه اسم عربي مشتق من الطُغَيان^(١)، و«أن» في موضع نصب بدلاً من الطاغوت، تقديره: والذين اجتنبوا عبادة الطاغوت. ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: رَجَعُوا إِلَى عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ. ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ في الحياة الدنيا بالجنة في العقبى.

رُوي أنها نزلت في عثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبيرؓ؛ سألوا أبا بكرؓ فأخبرهم بإيمانه فأمنوا. وقيل: نزلت في زيد بن عمرو ابن نُفيل وأبي ذرٍّ وغيرهما ممن وَّحَدَّ اللَّهُ تَعَالَى قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ^(٢).

وقوله: ﴿فَبَيَّنَّا عِبَادَ . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قال ابن عباس: هو الرجلُ يسمع الحسن والقبيح فيتحدث بالحسن وينكف عن القبيح فلا يتحدث به^(٣). وقيل: يستمعون القرآن وغيره فيتَّبِعُونَ الْقُرْآنَ^(٤). وقيل: يستمعون القرآن وأقوال الرسول فيتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أي: محكمه فيعملون به. وقيل: يستمعون عَزْماً وترخيصاً فيأخذون بالعزم دون الترخيص. وقيل: يستمعون العقوبة الواجبة لهم والعفو فيأخذون بالعفو^(٥).

وقيل: إِنَّ أَحْسَنَ الْقَوْلِ عَلَى مَنْ جَعَلَ الْآيَةَ فِيْمَنْ وَحَدَّ اللَّهُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

وقال عبد الرحمن بن زيد: نزلت في زيد بن عمرو بن نُفيل وأبي ذرٍّ الغفاري وسلمان الفارسي، اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها في جاهليتهم، وأتبعوا أحسن ما صار من القول إليهم^(٦).

(١) هذه الأقوال في النكت والعيون ١٢٠/٥ ، وزاد المسير ١٧٠/٧ ، وقول مجاهد وابن زيد أخرجه الطبري ١٨٣/٢٠ .

(٢) تفسير البغوي ٧٥/٤ ، وزاد المسير ١٧٠/٧ .

(٣) النكت والعيون ١٢١/٥ بنحوه.

(٤) معاني القرآن للنحاس ١٦٣/٦ .

(٥) المصدر السابق.

(٦) النكت والعيون ١٢١/٥ ، وأخرجه الطبري ١٨٥/٢٠ .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ لما يرضاه. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْتِيبِ﴾ أي: الذين انتفعوا بقولهم.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ كان النبي ﷺ يحرص على إيمان قوم وقد سبقت لهم من الله الشقاوة، فنزلت هذه الآية. قال ابن عباس: يُريد أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان^(١). وكرّر الاستفهام في قوله: «أَفَأَنْتَ» تأكيداً ليطول الكلام، وكذا قال سيبويه في قوله تعالى: ﴿أَعِدُّوا لَهُمْ إِذَا يَسْتَمُّوْنَ وَكَثُرُوا رَبَّابًا وَعِظْمًا أَكْثَرَ مَخْرُجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥] على ما تقدم. والمعنى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أفأنت تُنقذه. والكلام شرط وجوابه. وجيء بالاستفهام؛ ليدل على التوقيف والتقرير. وقال الفراء^(٢): المعنى: أفأنت تُنقذ من حَقَّتْ عليه كلمة العذاب. والمعنى واحد. وقيل: إن في الكلام حذفاً، والتقدير: أفمن حَقَّ عليه كلمة العذاب ينجو منه، وما بعده مُستأنف.

وقال: «أفمن حَقَّ عليه» وقال في موضع آخر: ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ [يونس: ٣٣] لأن الفعل إذا تقدم ووقع بينه وبين الموصوف به حائلٌ جاز التذكير والتأنيث، على أن التأنيث هنا ليس بحقيقي، بل الكلمة في معنى الكلام والقول؛ أي: أفمن حَقَّ عليه قول العذاب.

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَّيْنَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ لما بيّن أن للكفار ظللاً من النار من فوقهم

(١) تفسير البغوي ٧٥/٤ بنحوه.

(٢) في معاني القرآن ٤١٨/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في معاني القرآن ١٦٣/٦ - ١٦٤، وما قبله وما بعده فيه بنحوه.

ومن تحتهم بين أن للمتقين عُرفاً فوقها غرف؛ لأن الجنة درجات يعلو بعضها بعضاً و«لكن» ليس للاستدراك؛ لأنه لم يأت نفي، كقوله: ما رأيتُ زيداً لكن عمراً، بل هو لترك قصة إلى قصة مُخالفة للأولى، كقولك: جاءني زيدٌ لكن عمرو لم يأت.

﴿عُرْفٌ مَّيْبَةٌ﴾ قال ابن عباس: من زبرجد وياقوت ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: هي جامعةٌ لأسباب التزّهة.

﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾ نصب على المصدر؛ لأن معنى «لهم عُرفٌ»: وَعَدَّهُمَ اللهُ ذلك وعداً. ويجوز الرفع بمعنى: ذلك وَعَدُّ اللهُ^(١). ﴿لَا يُخَلِّفُ اللهُ الْمِعَادَ﴾ أي: ما وعدَ الفريقين.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: إنه لا يُخلف الميعاد في إحياء الخلق، والتمييز بين المؤمن والكافر، وهو قادرٌ على ذلك كما أنه قادرٌ على إنزال الماء من السماء.

«أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ» أي: من السحاب «ماءً» أي: المطر ﴿فَسَلَكَهُ﴾ أي: فأدخله في الأرض وأسكنه فيها؛ كما قال: ﴿فَأَسْكَنْتَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨]. ﴿يَنْبِيعَ﴾ جمع يَنْبُوع وهو يَفْعُول من نَبَعَ يَنْبَعُ وَيَنْبَعُ، بالرفع والنصب والخفض - النحاس^(٢): وحكى لنا ابنُ كَيْسَانَ في قول الشاعر:

يَنْبَاعٌ مِنْ ذُفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةَ^(٣)

(١) إعراب القرآن للنحاس ٨/٤ .

(٢) في إعراب القرآن ٨/٤ ، وما قبله منه .

(٣) قائله عنترة، وهو من معلقته. الديوان ص ٢٢ . وعجزه: زِيَاةٌ مثل الفنيق المُكْدَم. والذُفْرَى من القفا: الموضع الذي يعرق من الإبل خلف الأذن، والغضوب: الناقة العبوس، والجسرة: الماضية في سيرها، والزِيَاة: مبالغة زائف؛ إذا تبختر في مشيه، والفنيق: الفحل. والمُكْدَم: الذي لا يُؤذَى ولا يُرَكَّب لكرامته على أهله. خزنة الأدب ١/١٢٤ - ١٢٥ .

أَنْ مَعْنَاهُ: يَنْبَعُ، فَأَشْبَعِ الْفَتْحَةَ فَصَارَتْ أَلْفًا - نُبوعاً: خَرَجَ. وَالْيَنْبُوعُ عَيْنُ الْمَاءِ وَالْجَمْعُ الْيَنْبَاعُ^(١). وَقَدْ مَضَى فِي «سَبْحَانَ»^(٢).

«ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ» أَي: بِذَلِكَ الْمَاءِ الْخَارِجِ مِنْ يَنْبَاعِ الْأَرْضِ ﴿زَرَعًا﴾ هُوَ لِلجِنْسِ، أَي: زَرُوعاً شَتَى لَهَا أَلْوَانٌ مُخْتَلِفَةٌ، حُمْرَةٌ وَصُفْرَةٌ وَزُرْقَةٌ وَخُضْرَةٌ وَنُورًا. قَالَ الشَّعْبِيُّ وَالضَّحَّاكُ: كُلُّ مَاءٍ فِي الْأَرْضِ فَمِنْ السَّمَاءِ نَزَلَ، إِنَّمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الصَّخْرَةِ، ثُمَّ تَقْسَمُ مِنْهَا الْعَيُونَ وَالرِّكَايَا. ﴿ثُمَّ يَهَيِّجُ﴾ أَي: يَبْسُ. ﴿فَتَرْتَلَهُ﴾ أَي: بَعْدَ خُضْرَتِهِ ﴿مُضْفَرًا﴾^(٣).

قَالَ الْمَبْرِدُ: قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ: هَاجَتِ الْأَرْضُ تَهْيِجًا إِذَا أَدْبَرَ نَبْتُهَا وَوَلَّى. قَالَ: وَكَذَلِكَ هَاجَ النَّبْتُ. قَالَ: وَكَذَلِكَ قَالَ غَيْرُ الْأَصْمَعِيِّ^(٤).

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ^(٥): هَاجَ النَّبْتُ هَيَاجًا، أَي: يَبْسُ. وَأَرْضٌ هَائِجَةٌ يَبْسُ بِقَلْبِهَا أَوْ أَصْفَرًا، وَأَهَاجَتِ الرِّيحُ النَّبْتَ: أَيَبَسَتْهُ، وَأَهَيَجْنَا الْأَرْضَ، أَي: وَجَدْنَاهَا هَائِجَةً النَّبَاتِ، وَهَاجَ هَائِجَةً، أَي: ثَارَ غَضَبُهُ، وَهَدَأَ هَائِجَةً، أَي: سَكَتَ قُورَتَهُ.

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حَطَلًا﴾ أَي: فُتَاتًا مُكْسَرًا، مِنْ: تَحَطَّطَ الْعُودُ، إِذَا تَفَشَّتْ مِنْ الْيَبْسِ^(٦). وَالْمَعْنَى: أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى هَذَا قَدَرَ عَلَى الْإِعَادَةِ. وَقِيلَ: هُوَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلْقُرْآنِ وَلِصُدُورِ مَنْ فِي الْأَرْضِ، أَي: أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ قُرْآنًا فَسَلَكَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أَي: دِينًا مُخْتَلِفًا بَعْضُهُ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَزِدُّادُ إِيمَانًا وَيَقِينًا، وَأَمَّا الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ فَإِنَّهُ يَهَيِّجُ كَمَا يَهَيِّجُ الزَّرْعَ. وَقِيلَ: هُوَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلدُّنْيَا؛ أَي: كَمَا يَتَغَيَّرُ النَّبْتُ الْأَخْضَرَ فَيَصْفَرُ كَذَلِكَ الدُّنْيَا بَعْدَ بَهْجَتِهَا. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

(١) الصحاح (نبح).

(٢) ١٧٤/١٣.

(٣) تفسير البغوي ٧٦/٤ بنحوه، وقول الشعبي أخرجه الطبري ١٨٨/٢٠.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٨/٤ - ٩.

(٥) في الصحاح (هيج).

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٩/٤.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ شرح: فتح ووسّع. قال ابن عباس: وسّع صدره للإسلام حتى ثبت فيه. وقال السدي: وسّع صدره بالإسلام للفرح به والطمأنينة إليه؛ فعلى هذا لا يجوز أن يكون هذا الشرح إلا بعد الإسلام؛ وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون الشرح قبل الإسلام^(١).

﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ﴾ أي: على هدى من ربه كمن طبع على قلبه وأقساه. ودل على هذا المحذوف قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾^(٢). قال المبرد: يقال: قسا القلب، إذا صلب، وكذلك عتا وعسا مقارنة لها. وقلب قاس، أي: صلب لا يرق ولا يلين^(٣). والمراد بمن شرح الله صدره هاهنا فيما ذكر المفسرون عليّ وحمزة رضي الله عنهما^(٤). وحكى النقاش أنه عمر بن الخطاب ؓ. وقال مقاتل: عمار بن ياسر. وعنه أيضاً والكلبي: رسول الله ﷺ^(٥).

والآية عامة فيمن شرح الله صدره بخلق الإيمان فيه.

وروى [عمرو بن] مرة [عن أبي عبيدة]^(٦) عن ابن مسعود قال: قلنا: يا رسول الله، قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ﴾ كيف انشرح صدره؟ قال: «إذا دخل النور القلب انشرح وانفتح» قلنا: يا رسول الله، وما علامة ذلك؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار العرور، والاستعداد للموت

(١) النكت والعيون ١٢١/٥، ونسب القول الأول لابن عباس رضي الله عنهما والسدي، ولم ينسب الثاني.

(٢) المحرر الوجيز ٥٢٧/٤.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٩/٤.

(٤) المحرر الوجيز ٥٢٧/٤.

(٥) النكت والعيون ١٢٢/٥.

(٦) ما بين حاصرتين من مصادر التخريج، وينظر التعليق التالي.

قبل نزوله»^(١)، وخرجه الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول» من حديث ابن عمر: أن رجلاً قال: يا رسول الله، أي: المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً، وإذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع» قالوا: فما آية ذلك يا نبي الله؟ قال: «الإنبابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت»^(٢) فذكر ﷺ خصالاً ثلاثة، ولا شك أن من كانت فيه هذه الخصال فهو الكامل الإيمان، فإن الإنبابة إنما هي أعمال البر؛ لأن دار الخلود إنما وضعت جزاء لأعمال البر، ألا ترى كيف ذكره الله في مواضع في تنزيهه، ثم قال بعقب ذلك: ﴿جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] فالجنة جزاء الأعمال؛ فإذا انكمش العبد في أعمال البر فهو إنابته إلى دار الخلود، وإذا خمد حرصه عن الدنيا، ولها عن طلبها، وأقبل على ما يُغنيه منها فاكتفى به وقنع، فقد تجافى عن دار الغرور. وإذا أحكم أموره بالتقوى فكان ناظراً في كل أمر، واقفاً متأدباً مُتَّبِعاً حَذِراً يتورع عما يُريبه إلى ما لا يُريبه، فقد استعد للموت. فهذه علامتهم في الظاهر. وإنما صار هكذا لرؤية الموت، ورؤية صرف الآخرة عن الدنيا، ورؤية الدنيا أنها دار الغرور، وإنما صارت له هذه الرؤية بالنور الذي وَلَجَ القلب^(٣).

وقوله: ﴿قَوْلٌ لِّلْقَيْسِيَّةِ مَلُومٌ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قيل: المراد أبو لهب وولده، ومعنى: «مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» أن قلوبهم تزداد قسوة من سماع ذكره. وقيل: إن «مِن» بمعنى عن والمعنى: قَسَتْ عن قبول ذكر الله. وهذا اختيار الطبري^(٤).

(١) وهو حديث ضعيف جداً، قال الدارقطني في العلل ١٨٩/٥: يرويه عمرو بن مرة، واختلف عنه... وذكر عدة طرق له ثم قال: وكلها وهم، والصواب: عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر عبد الله بن المسور مسلماً عن النبي ﷺ، كذلك قاله الثوري، وعبد الله بن المسور هذا متروك. اهـ قلنا: وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه ابن مسعود، وقد سلف الحديث ٢٣/٩، ينظر ما ذكرناه ثمة.

(٢) نوادر الأصول ص ١٢٥ - ١٢٦. وأخرجه مختصراً ابن ماجه (٤٢٥٩) وفي إسناده نافع بن عبد الله عن فروة بن قيس، وهما مجهولان كما في التقريب.

(٣) نوادر الأصول ص ١٢٧.

(٤) تفسير الطبري ١٩٠/٢٠، وينظر زاد المسير ١٧٤/٧.

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: اطلبوا الحوائج من السُّمحاء، فإني جعلتُ فيهم رحمتي، ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم، فإني جعلتُ فيهم سَخَطِي»^(١).

وقال مالك بن دينار: ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة قلب، وما غَضِبَ اللهُ على قوم إلا نَزَعَ الرحمةَ من قلوبهم^(٢).

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن لما قال: ﴿فَيَسْمِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ بَيَّنَّ أن أحسنَ ما يُسمع ما أنزله الله، وهو القرآن. قال سعد بن أبي وقاص: قال أصحابُ رسول الله ﷺ: لو حدَّثتنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ فقالوا: لو قصصت علينا فنزل: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] فقالوا: لو ذكرتنا فنزل: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآية^(٣) [الحديد: ١٦].

وعن ابن مسعود ؓ أن أصحابَ رسول الله ﷺ مَلُّوا مَلَّةً فقالوا له: حدِّثنا، فنزلت^(٤).

(١) أخرجه ابن حبان في المجروحين ٢/٢٨٦، بلفظ: «إن الله يقول: اطلبوا الفضل من الرِّحماء من عبادي تعيشوا في أكنافهم، ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم...» وفي إسناده محمد بن مروان السدي كان ممن يروي الموضوعات عن الأئبات، لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة الاعتبار، قاله ابن حبان، وينظر لسان الميزان ٣/٤٤٦ - ٤٤٧.

(٢) المحرر الوجيز ٤/٥٢٧، وتفسير البغوي ٤/٧٦.

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٢/٤٠٨، وسلف ١١/٢٤٠ دون قولهم: لو ذكرتنا...

(٤) المحرر الوجيز ٣/٢١٨ - ٢١٩.

والحديث ما يُحدِّثُ به المُحدِّثُ. وسُمِّي القرآن حديثاً؛ لأن رسول الله ﷺ كان يُحدِّثُ به أصحابه وقومه، وهو كقوله: ﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥] وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي تَعْبُدُونَ﴾ [النجم: ٥٩] وقوله: ﴿إِن لَّآؤُومِنُونَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَشْفَاءُ﴾ [الكهف: ٦]. وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] وقوله: ﴿فَدَرَرْنَا وَمَنْ يَكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ [القلم: ٤٤].

قال القشيري: وتوهم قوم أن الحديث من الحدوث، فليدلل على أن كلامه مُحدَّث، وهو وهم؛ لأنه لا يريد لفظ الحديث على ما في قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مَنْ رَبَّيْهِمْ مُنْجِدٌ﴾ [الأنبياء: ٢] وقد قالوا: إن الحدوث يرجع إلى التلاوة لا إلى المثلو، وهو كالذكر مع المذكور، إذا ذكرنا أسماء الرب تعالى.

﴿كَتَبْنَا﴾ نصب على البدل من «أَحْسَنَ الْحَدِيثِ» ويحتمل أن يكون حالاً منه. ﴿مُتَشَبِّهًا﴾ يُشبهه بعضه بعضاً في الحسن والحكمة ويصدق بعضه بعضاً^(١)، ليس فيه تناقض ولا اختلاف. وقال قتادة: يُشبهه بعضه بعضاً في الآي والحروف. وقيل: يُشبهه كُتِبَ الله المنزلة على أنبيائه؛ لما يتضمَّنُه من أمر ونهي وترغيب وترهيب وإن كان أعم وأعجز^(٢). ثم وصفه فقال: ﴿مَثَانِي﴾ تُثنى فيه القصص والمواعظ والأحكام، وتُثني للتلاوة فلا يُمل.

﴿نَفْسَعِرُّ﴾ تضطرب وتتحرك بالخوف مما فيه من الوعيد. ﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: عند آية الرحمة. وقيل: إلى العمل بكتاب الله والتصديق به. وقيل: «إلى ذِكْرِ اللَّهِ» يعني الإسلام.

الثانية: عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: كان أصحابُ النبي ﷺ إذا قرئ عليهم القرآن كما نعتهم الله؛ تدمع أعينهم وتفسعرو جلودهم. قيل لها: فإن أناساً اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خرَّ أحدُهم مغشياً عليه. فقالت: أعود بالله

(١) تفسير الطبري ١٩١/٢٠.

(٢) النكت والعيون ١٢٢/٥، وقول قتادة أخرجه الطبري ١٩١/٢٠.

من الشيطان الرجيم.

وقال سعيد بن عبد الرحمن الجُمحي: مرَّ ابنُ عمرَ برجلٍ من أهل القرآن ساقط فقال: ما بال هذا؟ قالوا: إنه إذا قُرئ عليه القرآن وسَمِعَ ذَكَرَ الله سقط. فقال ابن عمر: إنا لَنخشى الله وما نسقط. ثم قال: إن الشيطانَ يدخلُ في جوف أحدهم؛ ما كان هذا صنيعَ أصحاب محمد ﷺ^(١).

وقال عمر بن عبد العزيز: ذُكر عند ابن سيرين الذين يُصرعون إذا قُرئ عليهم القرآن، فقال: بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطاً رجله، ثم يُقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فإن رُمى بنفسه فهو صادق^(٢).

وقال أبو عمران الجوني: وعظ موسى عليه السلام بني إسرائيل ذات يوم فشق رجلٌ قميصه، فأوحى الله إلى موسى: قل لصاحب القميص: لا يشقَّ قميصه، فإنني لا أحبُّ المُبذرين؛ يشرح لي عن قلبه^(٣).

الثالثة: قال زيد بن أسلم: قرأ أبي بن كعب عند النبي ﷺ ومعه أصحابه^(٤) فرقوا، فقال النبي ﷺ: «اغتنموا الدعاء عند الرقة، فإنها رحمة»^(٥). وعن العباس أن رسول الله صلى عليه وسلم قال: «إذا اقشعرَّ جلدُ المؤمن من مخافةِ الله تحاتَّت عنه خطاياها كما يتحاتُّ عن الشجرة البالية ورقها»^(٦).

وعن ابن عباس أن رسولَ الله ﷺ قال: «ما اقشعرَّ جلدُ عبدٍ من خشيةِ الله إلا حرَّمه الله على النار»^(٧). وعن شهر بن حوشب عن أمِّ الدرداء قالت: إنما الوجل في

(١) أخرجه الخبرين البغوي في تفسيره ٧٧/٤، وذكرهما ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٢٨/٤.

(٢) المصدران السابقان دون ذكر عمر بن عبد العزيز ﷺ، ولم نقف عليه من قوله.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣١٤/٢ - ٣١٥.

(٤) قوله: ومعه أصحابه، من (م).

(٥) أخرجه الشهاب في مسنده (٦٩٢) وهو مرسل، فإن زيدا لم يدرك أبيتاً ﷺ.

(٦) أخرجه البزار في مسنده (١٣٢٢).

(٧) لم نقف عليه.

قلب الرجل كاحترق السَّعفة، أما تَجِدُ إلا قُسْغَريرة؟ قلت: بلى؛ قالت: فادعُ الله، فإن الدعاء عند ذلك مُستجاب^(١). وعن ثابت البناني قال: قال فلان: إني لأعلمُ متى يُستجاب لي. قالوا: ومن أين تعلم ذلك؟ قال: إذا اقشعرت جلدِي، ووَجِلَ قلبي، وفاضت عيناِي، فذلك حين يُستجاب لي^(٢).

يقال: اقشعرت جلدُ الرجل اقشعراراً فهو مُقشعِرٌ، والجمع قشاعر، فتُحذف الميم، لأنها زائدة؛ يقال: أخذته قُسْغَريرة^(٣). قال امرؤ القيس:

فِيئُ أَكْبَادٍ لَيْلِ الثَّمَا مِ وَالْقَلْبُ مِنْ خَشِيَةِ مُقْشَعِرٍ^(٤)

وقيل: إن القرآن لما كان في غاية الجزالة والبلاغة، فكانوا إذا رأوا عجزهم عن معارضته، اقشعرت الجلودُ منه إعظاماً له، وتعجباً من حُسن ترصيفه^(٥) وتَهيباً لِمَا فيه؛ وهو كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] فالتصدُّع قريبٌ من الاقشعرار، والخُشوع قريبٌ من قوله: ﴿هُمْ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ومعنى لين القلب رِقته وطمأنينته وسُكونه.

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾ أي: القرآن هُدَى الله. وقيل: أي: الذي وهبه الله لهؤلاء من خَشية عقابه ورجاء ثوابه هُدَى الله^(٦).

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ أي: مَنْ خَذَلَهُ فلا مُرشدَ له. وهو يردُّ على القَدَرية وغيرهم. وقد مضى معنى هذا كَلَمَةً مستوفى في غير موضع، والحمد لله.

ووقف ابن كثير وابن مُحيصن على قوله: «هادٍ» في الموضعين بالياء، الباقون بغير ياء^(٧).

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١١٣٨).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (١١٣٩)، وذكره الحكيم في نوادير الأصول ص ١١٤.

(٣) الصحاح (قشعر).

(٤) ديوان امرئ القيس ص ١٥٨. قال شارحه: ليل الثمام: أطول ليل في الشتاء.

(٥) في (م): ترصيعه.

(٦) المحرر الوجيز ٥٢٨/٤، وزاد المسير ١٧٨/٧ بمعناه.

(٧) السبعة ص ٣٦٠، والتيسير ص ١٣٣.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَبْقَىٰ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاْتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَاذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَبْقَىٰ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ قال عطاء وابن زيد: يُرْمَى به مكتوفاً في النار، فأول شيء تَمَسُّ منه النار وجهه. وقال مجاهد: يُجْرُ على وجهه في النار. وقال مقاتل: هو أن الكافر يُرمى به في النار مغلولاً يده إلى عنقه، وفي عنقه صخرة عظيمة كالجبل العظيم من الكبريت، فتشتعل النار في الحجر وهو مُعلَق عنقه، فحرُّها ووهجها على وجهه؛ لا يُطيق دَفْعَهَا عن وجهه من أجل الأغلال^(١).

والخبر محذوف. قال الأخفش^(٢): أي: ﴿أَفَمَنْ يَبْقَىٰ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أفضل أم من سعد، مثل: ﴿أَفَمَنْ يَلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [فصلت: ٤٠].
﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: وتقول الخزنة للكافرين: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاء كسبكم من المعاصي. ومثله: ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [التوبة: ٣٥].

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاْتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ . فَاذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تقدّم معناه^(٣). وقال المبرد: يقال لكل ما نال الجارحة من شيء: قد ذاقته، أي: وصل إليها كما تصل الحلاوة والمرارة إلى الذائق لهما. قال: والخيزي المكروه^(٤)، والخزاية من الاستحياء^(٥).

(١) تفسير البغوي ٧٧/٤.

(٢) في معاني القرآن ٦٧٠/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٩/٤.

(٣) ٣٢٤/٢.

(٤) في (م): من المكروه.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٩/٤ - ١٠.

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أي: مما أصابهم في الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٧٨﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: من كل مثل يحتاجون إليه؛ مثل قوله تعالى: ﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقيل: أي: ما ذكرنا^(١) من إهلاك الأمم السالفة مثل لهؤلاء ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون.

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على الحال. قال الأخفش^(٢): لأن قوله جلّ وعزّ: «في هذا القرآن» معرفة. وقال علي بن سليمان: «عَرَبِيًّا» نصب على الحال، و«قُرْآنًا» توطئة للحال كما تقول: مررتُ بزيد رجلاً صالحاً، فقولك: صالحاً هو المنصوبُ على الحال. وقال الزجاج^(٣): «عَرَبِيًّا» منصوب على الحال و«قُرْآنًا» توكيد.

﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ النحاس^(٤): أحسنُ ما قيل فيه قول الضحاك: قال: غير مختلف. وهو قول ابن عباس، ذكره الثعلبي^(٥). وعن ابن عباس أيضاً: غير مخلوق، ذكره المهدوي^(٦) وقاله السدي فيما ذكره الثعلبي. وقال عثمان بن عفان: غير مُتضاد. وقال مجاهد: غير ذي لَبْس. وقال بكر بن عبد الله المُزَنِي: غير ذي لَحْن^(٧). وقيل: غير ذي شَكِّ. قاله السُّدِي فيما ذكره الماوردي^(٨). قال:

(١) في (م): ما ذكرناه.

(٢) في معاني القرآن ٦٧١/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ١٠/٤ وما بعده منه.

(٣) في معاني القرآن ٣٥٢/٤.

(٤) في إعراب القرآن ١٠/٤، وما قبله منه.

(٥) وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٢٩/٤، والبغوي في تفسيره ٧٨/٤.

(٦) وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٧٩/٧.

(٧) المحرر الوجيز ٥٢٩/٤.

(٨) في النكت والعيون ١٢٤/٥.

وقد أتاك يقينٌ غيرُ ذي عِوَجٍ من الإلهِ وقولٌ غيرُ مكذوبٍ^(١)
﴿لَعَلَّهُمْ يَنْفَرُونَ﴾ الكُفْرَ والكذب.

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾ قال الكسائي: نصب «رَجُلًا» لأنه ترجمةٌ للمثل وتفسيرٌ له^(٢)، وإن شئتَ نصبته بنزع الخافض، مجازه: ضرب الله مثلاً برجل ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾^(٣).

قال الفراء^(٤): أي: مختلفون. وقال المبرد: أي: متعاسرون، من: شَكِسَ يَشْكِسُ شَكْسًا، فهو شَكِسٌ، مثل: عَسِرَ يَعْسُرُ عَسْرًا، فهو عَسِيرٌ، يقال: رجل شَكِسٌ وشرسٌ وضرسٌ وضميسٌ. ويقال: رجل ضَمِيسٌ وضميسٌ، أي: شرسٌ عَسِرٌ شَكِسٌ؛ قاله الجوهري^(٥).

الزمخشري^(٦): والتشاكسُ والتشاخسُ الاختلافُ. يقال: تشاكستَ أحواله وتشاخستَ أسنانه.

ويقال: شاكسني فلان، أي: ما كسني وشاخني في حقِّي. قال الجوهري^(٧):
رجل شَكِسٌ - بالتسكين - أي: صَغِبَ الخُلُقُ. قال الراجز:
شَكِسٌ عَبُوسٌ عَنَبَسٌ عَذَوْرٌ

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ٣/٣٩٦.

(٢) تفسير البغوي ٤/٧٨.

(٣) المحرر الوجيز ٤/٥٢٩.

(٤) معاني القرآن ٢/٤١٩، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤/١٠ وما بعده منه.

(٥) في الصحاح (ضبس).

(٦) في الكشاف ٣/٣٩٧.

(٧) في الصحاح (شكس).

وقوم سُكَّسٌ، مثال: رَجُلٌ صَدُقَ، وقوم صُدِّقَ. وقد سُكِّسَ - بالكسر - سُكَّاسَةً. وحكى الفراء^(١): رجل سُكِّسٌ. وهو القياس، وهذا مثلُ مَنْ عَبَدَ آلِهَةً كَثِيرَةً.

﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ أي: خالصاً لِسَيِّدٍ واحد، وهو مثلُ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وحده. ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ هذا الذي يَخْدُمُ جماعةَ شُرَكَاءَ، أخلاقُهُم مختلفة، ونيَّاتُهُم مُتباينة، لا يلقاه رجلٌ إلا جرَّه واستخدمه؛ فهو يَلْقَى منهم العَنَاءَ والنَّصَبَ والتعب العظيم، وهو مع ذلك كلُّه لا يُرضي واحداً منهم بخدمته لِكثرةِ الحقوق في رقبته، والذي يَخْدُمُ واحداً لا يُنازعه فيه أحد، إذا أطاعه وحده عَرَفَ ذلك له؛ وإن أخطأ صَفَحَ عن خطئه، فأيهما أقلُّ تَعَباً أو على هُدًى مستقيم^(٢).

وقراءة أهل الكوفة وأهل المدينة: «وَرَجُلًا سَلَمًا» وقرأ ابن عباس ومجاهد والحسن وعاصم الحَجْدَرِي وأبو عمرو وابن كثير ويعقوب: «وَرَجُلًا سَالِمًا»^(٣) واختاره أبو عبيد لصحة التفسير فيه. قال: لأن السالمَ الخالصُ ضدُّ المُشْتَرِكِ، والسَّلْمُ ضدُّ الحرب، ولا موضعٌ للحرب هنا.

النحاس^(٤): وهذا الاحتجاجُ لا يلزم، لأن الحرفَ إذا كان له معنيان لم يُحمل إلا على أولاهما، فهذا وإن كان السَّلْمُ ضدَّ الحرب فله موضعٌ آخر؛ كما يقال: لك في هذا المنزل شُرَكَاءُ فصار سَلَمًا لك. ويلزمه أيضاً في سالم ما ألزم غيره؛ لأنه يقال: شيء سالم، أي: لا عاهة به. والقراءتان حستان قرأ بهما الأئمة.

واختار أبو حاتم قراءة أهل المدينة «سَلَمًا» قال: وهذا الذي لا تنازع فيه. وقرأ سعيد بن جبيرة وعكرمة وأبو العالية ونصر: «سِلْمًا» بكسر السين وسكون اللام^(٥).

(١) نقله المصنف عنه بواسطة الجوهرى في الصحاح (شكس).

(٢) الكلام بنحوه في النكت والعيون ١٢٤/٥، والكشاف ٣٩٦/٣ - ٣٩٧، وزاد المسير ١٧٩/٧ - ١٨٠.

(٣) السبعة ص ٥٦٢، والتيسير ص ١٨٩، والنشر ٣٦٢/٢.

(٤) في إعراب القرآن ١٠/٤ - ١١، وما قبله منه.

(٥) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٣٠/٤ عن سعيد بن جبيرة.

وسِلِّمًا وَسَلَّمًا مصدران، والتقدير: ورجلاً ذا سلم فحذف المضاف. و«مثلاً» صفة، على التمييز، والمعنى: هل تستوي صفتاهما وحالهما. وإنما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس^(١). ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الحق فيتبعونه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ﴿٣١﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ وقرأ ابن مُحِيسِن وابن أَبِي عَبْلَةَ وعيسى بن عمر وابن أبي إسحاق: «إِنَّكَ مَائِتٌ وَإِنَّهُمْ مَائِتُونَ» وهي قراءة حسنة، وبها قرأ عبد الله ابن الزُّبَيْر^(٢). النحاس^(٣): ومثل هذه الألف تُحذف في الشواد^(٤)، و«مائت» في المستقبل كثيرٌ في كلام العرب؛ ومثله: ما كان مريضاً وإنه لمارض من هذا الطعام.

وقال الحسن والفراء والكسائي: المَيِّت بالتشديد: من لم يَمُتْ وسيموت، والمَيِّت بالتخفيف: مَنْ فارقتهُ الروح؛ فلذلك لم تُخفف هنا^(٥). قال قتادة: نُعِيَتْ إلى النبي ﷺ نَفْسُهُ، وَنُعِيَتْ إِلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ^(٦). وقال ثابت البناني: نَعَى رَجُلٌ إِلَى صِلَةِ ابْنِ أَشْتِيمٍ أَخًا لَهُ فَوَافَقَهُ يَأْكُلُ، فَقَالَ: اذْنُ فُكْلٍ، فَقَدْ نَعَى إِلَيَّ أَخِي مِنْذُ حِينٍ؛ قَالَ: وَكَيْفَ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ أَتَاكَ بِالْخَبْرِ. قَالَ: إِنْ اللَّهُ تَعَالَى نَعَاهُ إِلَيَّ فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٧).

وهو خطابٌ للنبي ﷺ أخبره بموته وموتهم؛ فاحتمل خمسة أوجه: أحدها أن

(١) الكشاف ٣/٣٩٧.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٣١.

(٣) إعراب القرآن ٤/١١، وما قبله منه.

(٤) في (د) و(ز) و(م): الشواد، والمثبت من (ظ) وإعراب القرآن.

(٥) ذكر قول الفراء والكسائي البغوي في تفسيره ٤/٧٨.

(٦) ذكره العيني في عمدة القاري ١٨/٦٠.

(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/٢٣٨. وصلة بن أشْتِيم: أبو الصهباء، العدوي، البصري، زوج العالمة معاذة العدوية، مات سنة (٦٢٢هـ). السير ٣/٤٩٧.

يكون ذلك تحذيراً من الآخرة. الثاني: أن يُذكَرَ حَتَّىٰ عَلَى الْعَمَلِ. الثالث: أن يُذكَرَ تَوَطُّةً لِلْمَوْتِ. الرابع: لثلاثا يَخْتَلَفُوا فِي مَوْتِهِ كَمَا اخْتَلَفَتْ الْأُمَّمُ فِي غَيْرِهِ، حَتَّىٰ إِنْ عَمَرَ ﷺ لَمَّا أَنْكَرَ مَوْتَهُ احْتَجَّ أَبُو بَكْرٍ ﷺ بِهَذِهِ الْآيَةِ فَأَمْسَكَ. الخامس: لِيُعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَدْ سَوَّىٰ فِيهِ بَيْنَ خَلْقِهِ مَعَ تَفَاوُضِهِمْ فِي غَيْرِهِ؛ لِتَكْثُرَ فِيهِ السَّلْوَةُ وَتَقَلَّ فِيهِ الْحَسْرَةُ^(١).

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُّمُونَ﴾ يعني تخاصم الكافر والمؤمن والظالم والمظلوم؛ قاله ابن عباس^(٢) وغيره. وفي خبر فيه طول: إن الخصومة تبلغ يوم القيامة إلى أن يُحَاجَّ الرُّوحُ الْجَسَدَ^(٣).

وقال الزبير: لما نزلت هذه الآية قلنا: يا رسول الله، أَيَكْرَرُ عَلَيْنَا مَا كَانَ بَيْنَنَا فِي الدُّنْيَا مَعَ خَوَاصِّ الذُّنُوبِ؟ قال: «نعم، لِيُكْرَرَنَّ عَلَيْكُمْ حَتَّىٰ يُوَدَّىٰ إِلَىٰ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ» فقال الزبير: والله إن الأمر لشديد^(٤).

وقال ابن عمر: لَقَدْ عَشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَنَحْنُ نَرَىٰ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيْنَا وَفِي أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُّمُونَ﴾ فقلنا: وكيف نختم ونبينا واحد وديننا واحد، حتى رأيتُ بعضنا يضربُ وجوهَ بعض بالسيف؛ فعرفتُ أنها فينا نزلت^(٥).

وقال أبو سعيد الخُدري: كنا نقول: ربنا واحد، وديننا واحد، ونبيُّنا واحد فما هذه الخصومة. فلما كان يوم صِفِّينَ وَشَدَّ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ بِالسَّيْفِ قُلْنَا: نَعَمْ هُوَ هَذَا.

(١) النكت والعيون ١٢٥/٥ ، وخبر إنكار عمر ﷺ موت النبي ﷺ عند البخاري (١٢٤١) وسلف ٣٤٢/٥ .

(٢) أخرجه الطبري ٢٠١/٢٠ بنحوه.

(٣) المحرر الوجيز ٥٣٠/٤ .

(٤) أخرجه أحمد (١٤٣٤) بهذا اللفظ، وأخرجه الترمذي (٣٢٣٦) بنحوه مختصراً.

(٥) ذكره بهذا اللفظ البغوي في تفسيره ٧٨/٤ ، وأخرجه بنحوه النسائي في الكبرى (١١٣٨٣)، والطبري

٢٠٢/٢٠ ، وقوله: حتى رأيتُ بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف. يعني فتنه مقتل عثمان ﷺ.

وقال إبراهيم النَّخعي: لما نزلت هذه الآية جعل أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: ما خصومتنا بيننا؟ فلما قُتل عثمان ؓ قالوا: هذه خصومتنا بيننا^(١).

وقيل: تخصُّصهم هو تحاكمهم إلى الله تعالى، فيستوفي من حسنات الظالم بقدر مَظْلَمته، ويردُّها في حسنات مَنْ وَجِبَتْ له.

وهذا عامٌّ في جميع المظالم، كما في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المُفلس؟» قالوا: المُفلس فينا مَنْ لا درهمَ له ولا مَتاع. قال: «إِنَّ المُفلسَ من أمتي مَنْ يأتي يومَ القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شَتَمَ هذا، وقذَفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإنَ فُيئتَ حسناتُه قبل أن يُقضى^(٢) ما عليه، أُخِذَ من خطاياهم فطُرِحَت عليه، ثم طُرِحَ في النار» خرجه مسلم^(٣). وقد مضى هذا المعنى مجوِّداً في «آل عمران».

وفي البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من كانت له مَظْلَمَةٌ لأحد^(٤) من عِرْضه أو شيءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه اليومَ قبل ألا يكونَ ديناراً ولا درهماً، إن كان له عملٌ صالحٌ أُخِذَ منه بقدر مَظْلَمته وإن لم تكن له حسناتٌ أُخِذَ من سيئات صاحبه فحمل عليه»^(٥) وفي الحديث المسند: أوَّلُ ما تقع الخُصومات في الدنيا^(٦). وقد ذكرنا هذا الباب كلَّهُ في «التذكرة» مستوفى^(٧).

(١) ذكر هذا الخبر والذي قبله البغوي في تفسيره ٧٨/٤. وقول إبراهيم النخعي أخرجه الطبري ٢٠٢/٢٠.

(٢) في النسخ: قبل انقضاء، والمثبت من (م) وهو الموافق لصحيح مسلم، والحديث منه كما سيأتي.

(٣) الحديث (٢٥٨١)، وسلف ٤١٤/٥.

(٤) في النسخ: من كانت له عنده لأخيه مظلمة. والمثبت من (م) وهو الموافق لصحيح البخاري.

(٥) صحيح البخاري (٢٤٤٩) وسلف ٧٦/٢.

(٦) أخرجه ابن المبارك في الزهد (برواية نعيم بن حماد) (٣٨٨) من قول ابن مسعود ؓ مطولاً بلفظ: إن

الله يجمع الناس في صعيد واحد... ثم يكون أول ما يبدؤون من الخصومات في الدنيا، فيؤتى بالقاتل والمقتول...

(٧) ص ٢٦٧.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ فزعم أن له ولداً وشريكاً ﴿وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ﴾ يعني القرآن، ﴿الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ﴾ استفهام تقرير ﴿مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ أي: مقامٌ للجاحدين^(١)، وهو مشتقٌ من: ثَوَى بالمكان، إذا أقام به يثوي ثَوَاءً وَثَوِيًّا، مثل: مَضَى مَضَاءً وَمُضِيًّا^(٢)، ولو كان من أُنْوَى لكان مُثْوَى. وهذا يدلُّ على أن ثَوَى هي اللغة الفصيحة. وحكى أبو عبيدة^(٣): أُنْوَى، وأنشد قول الأعشى: أُنْوَى وَقَصَّرَ لَيْلَةَ لِيُزَوِّدَا وَمَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا^(٤) والأصمعيُّ لا يعرف إلا ثَوَى، ويروي البيت: أُنْوَى، على الاستفهام. وأثويثٌ غيري يتعدى ولا يتعدى^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ في موضع رفع بالابتداء، وخبره ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٦)، واختلف في الذي جاء بالصدق وصدق به؛ فقال عليٌّ ؑ: «الذي جاء بالصدق» النبيُّ ﷺ، «وَصَدَّقَ بِهِ» أبو بكر ؓ^(٧). وقال مجاهد: النبيُّ عليه الصلاة والسلام وعليٌّ ؑ^(٨). السدي: الذي جاء بالصدق جبريلُ ؑ، والذي صدَّق به

(١) تفسير البغوي ٧٩/٤.

(٢) الصحاح (ثوي).

(٣) في النسخ: أبو عبيد، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ١١/٤، والكلام منه.

وينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٠٧/٢.

(٤) ديوان الأعشى ص ٢٧٧.

(٥) الصحاح (ثوي).

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٢/٤.

(٧) أخرجه الطبري ٢٠/٢٠٤.

(٨) المحرر الوجيز ٤/٥٣١.

محمد ﷺ^(١). وقال ابن زيد ومقاتل وقتادة: «الذي جاء بِالصَّدْقِ» النبي ﷺ «وَصَدَّقَ بِهِ» المؤمنون. واستدلوا على ذلك بقوله: «أولئك هم الْمُتَّقُونَ»^(٢)، كما قال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

وقال النَّحَّعي ومجاهد: «الذي جاء بِالصَّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ» المؤمنون الذين يجيئون بالقرآن يومَ القيامة فيقولون: هذا الذي أعطيتُمونا قد اتَّبَعْنَا ما فيه^(٣)؛ فيكون «الذي» على هذا بمعنى جمع، كما تكون مَنْ بمعنى جمع، وقيل: بل حُذفت منه النون لِطُول الاسم. وتأوَّلَه الشعبي على أنه واحد، وقال: «الذي جاء بِالصَّدْقِ» محمد ﷺ، وَصَدَّقَ بِهِ محمد ﷺ^(٤)، فيكون على هذا خبره جماعة؛ كما يقال لمن يُعظَّم: هو فعلا، وزيد فعلا كذا وكذا.

وقيل: إن ذلك عامٌّ في كل مَنْ دعا إلى توحيد الله عز وجل؛ قاله ابن عباس وغيره، واختاره الطبري^(٥).

وفي قراءة ابن مسعود: «والذي جَاؤُوا بِالصَّدْقِ وَصَدَّقُوا بِهِ»^(٦) وهذه قراءة على التفسير. وفي قراءة أبي صالح الكوفي: «والذي جاء بِالصَّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ» مُحَقَّفًا على معنى: وَصَدَّقَ بِمَجِيئِهِ بِهِ، أي: صَدَّقَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عز وجل^(٧)، وقد مضى في «البقرة» الكلامُ في «الَّذِي» وأنه يكون واحداً ويكون جمعاً^(٨).

(١) تفسير البغوي ٧٩/٤.

(٢) تفسير البغوي ٧٩/٤، وقول قتادة وابن زيد أخرجه الطبري ٢٠٥/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري ٢٠٦/٢٠ عن مجاهد.

(٤) قوله وَصَدَّقَ بِهِ محمد ﷺ، ليس في (د) و(ز) و(م)، والكلام من إعراب القرآن للنحاس ١٢/٤ وعبارته: الذي جاء بالصدق محمد ﷺ، وَصَدَّقَ بِهِ أبو بكر الصديق ﷺ والصحابه. والمثبت من (ظ) ونسخة من إعراب القرآن للنحاس أشار إليها محققه، وهو الصواب.

(٥) في تفسير الطبري ٢٠٦/٢٠، وأخرج قول ابن عباس ﷺ ٤٠٢/٢٠.

(٦) القراءات الشاذة ص ١٣٢، والمحذر الوجيز ٥٣١/٤، والدر المصون ٤٢٧/٩، ووقع في القراءات الشاذة: جاء، بدل: جَاؤُوا.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ١٢/٤، وقراءة أبي صالح في المحتسب ٢٣٧/٢.

(٨) ٣٢٠/١ - ٣٢١.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: من النعيم في الجنة، كما يقال: لك إكرامٌ عندي؛ أي: ينالك: مني ذلك. ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ الثناء في الدنيا والثواب في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿لِيُكْفَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: صدقوا «لِيُكْفَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ» ﴿أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي: يُكرمهم ولا يُؤاخذهم بما عملوا قبل الإسلام ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ أي: يُشبههم على الطاعات في الدنيا ﴿بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهي الجنة.

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٤﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ حُذفت الياء من «كاف» لسكونها وسكون التنوين بعدها؛ وكان الأصل ألا تُحذف في الوقف ليزوال التنوين، إلا أنها حُذفت لِيُعْلَمَ أنها كذلك في الوصل. ومن العرب من يُثبتها في الوقف على الأصل فيقول: كافي^(١).

وقراءة العامة: «عَبْدَهُ» بالتوحيد؛ يعني محمداً ﷺ يكفيه الله وعيد المشركين وكَيْدَهُمْ. وقرأ حمزة والكسائي: «عِبَادَهُ»^(٢) وهم الأنبياء، أو الأنبياء والمؤمنون بهم. واختار أبو عبيد قراءة الجماعة لقوله عقيبه: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾^(٣). ويَحْتَمِلُ أن يكون العبدُ لفظ الجنس؛ كقوله عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢] وعلى هذا تكون القراءة الأولى راجعةً إلى الثانية.

والكفاية [من]^(٤) شر الأصنام، فإنهم كانوا يُخَوِّفُونَ المؤمنين بالأصنام، حتى قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٢/٤ .

(٢) السبعة ص ٥٦٢ ، والتيسير ص ١٨٨ .

(٣) تفسير الرازي ٢٦/٢٨١ .

(٤) ما بين حاصرتين زيادة ليست في النسخ .

بِاللَّهِ ﴿[الأنعام: ٨١]﴾. وقال الجرجاني: إن الله كافٍ عبده المؤمن وعبده الكافر، هذا بالثواب وهذا بالعقاب.

قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ وذلك أنهم خَوْفُوا النَّبِيَّ ﷺ مَضْرَبَةً الأوثان، فقالوا: أتسبُّ آلهتنا؟ لئن لم تكفَّ عن ذِكْرِهَا لَتُخْلِنَنَّكَ أَوْ تُصَيِّنَنَّكَ بِسُوءٍ^(١). وقال قتادة: مشى خالد بن الوليد إلى العزرى ليكسرَها بالفأس، فقال له سادنها: أْحَذِرْكَهَا يَا خَالِدَ، فَإِنَّ لَهَا شِدَّةً لَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ، فَعَمَدَ خَالِدٌ إِلَى الْعُزْرَى فَهَشَمَ أَنْفَهَا حَتَّى كَسَرَهَا بِالْفَأْسِ^(٢). وتخويفهم لخالد تخويفٌ للنبي ﷺ؛ لأنه الذي وجَّه خالدًا. ويدخل في الآية تخويفهم النبي ﷺ بكثرة جمعهم وقوتهم؛ كما قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ [القمر: ٤٤].

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ تقدم. ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ أي: ممن عاداه أو عادى رُسُلَه.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَلْفَوْا أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ إِنِّي عَعِلُّ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ أَسْتَكْفَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ﴾ أي: ولئن سألتهم يا محمد ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ بين أنهم مع عبادتهم الأوثان مُقِرُّونَ بِأَنَّ الخالقَ هو الله، وإذا

(١) المحرر الوجيز ٤/٥٣٢ بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري ٢٠/٢١٠.

كان الله هو الخالق فكيف يُخَوِّفونك بألهتهم التي هي مخلوقة لله تعالى، وأنت رسول الله الذي خلقها وخلق السماوات والأرض؟!.

﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ﴾ أي: قل لهم يا محمد بعد اعترافهم بهذا: «أَفَرَأَيْتُمْ» ﴿إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بشدة وبلاء ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ يعني هذه الأصنام ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ نعمة ورخاء ﴿هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِي﴾ قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ فسكتوا^(١). وقال غيره: قالوا: لا تَدْفَعُ شيئاً قَدَّرَهُ اللهُ، ولكنها تشفع، فنزلت: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ وترك الجواب لدلالة الكلام عليه؛ يعني فسيقولون: لا، ف «قُلْ» أنت: «حَسْبِيَ اللَّهُ» أي: عليه توكلت، أي: اعتمدت و﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يعتمد المعتمدون^(٢). وقد تقدّم الكلام في التوكل^(٣).

وقرأ نافع وابن كثير والكوفيون ما عدا عاصماً: «كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ» بغير تنوين^(٤). وقرأ أبو عمرو وشيبة - وهي المعروفة من قراءة الحسن - وعاصم^(٥): «هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ»، «مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ» بالتنوين على الأصل^(٦)، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم؛ لأنه اسم فاعل في معنى الاستقبال، وإذا كان كذلك كان التنوين أجود. قال الشاعر:

الضاربون غميراً عن بيوتهم بالليل يوم غمير ظالم عادي^(٧)
ولو كان ماضياً لم يجز فيه التنوين، وحذف التنوين على التخفيف^(٨)، فإذا

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٨٠/٤.

(٢) الكلام السالف في تفسير الطبري ٢٠/٢١١-٢١٢ بنحوه.

(٣) ٢٩١/٥ و٣٨٥.

(٤) السبعة ص ٥٦٢، والتيسير ص ١٩٠، وقراءة عاصم المشهورة عنه بغير تنوين، وقرأ بها ابن عامر أيضاً.

(٥) هذه رواية الكسائي عن أبي بكر عن عاصم، كما في السبعة ص ٥٦٢، وهو غير المشهورة عنه.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٣/٤.

(٧) قائله القطامي، وهو في ديوانه ص ٨٨، وفي الحُلل للبطلوسي ص ١١٩.

(٨) في (ف) و(م): التحقيق، والمثبت موافق لإعراب القرآن للنحاس ١٣/٤، والكلام منه.

حذفت التنوين لم يَبْقَ بين الاسمين حاجزٌ، فخفضت الثاني بالإضافة. وحذفت التنوين كثيراً في كلام العرب موجودٌ حسن؛ قال الله تعالى: ﴿هَدْيًا بَلِغَ الْكَمْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] وقال: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّافَةَ﴾ [القمر: ٢٧] قال سيبويه: ومثل ذلك ﴿غَيْرَ مَحَلِّي الصَّيْدِ﴾ [المائدة: ١] وأنشد سيبويه^(١):

هل أنتَ باعِثُ دينارٍ لحاجتِنَا أو عَبْدَ رَبِّ أَخَا عَوْنِ بْنِ مِخْرَاقِ^(٢)
وقال النابغة:

أَحْكُمُ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى حَمَامِ شِرَاعٍ وَارِدِ الشَّمْدِ^(٣)
معناه: واردِ الشَّمْدَ، فحذفت التنوين؛ مثل «كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ»^(٤).

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَقْوَرِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾ أي: على مكاتي، أي: على جهتي التي تمكنت عندي^(٥) ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

وقرأ أبو بكر: «مَكَانَاتِكُمْ» وقد مضى في «الأنعام»^(٦). ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي: يُهينه ويذله، أي: في الدنيا، وذلك بالجوع والسيف. ﴿وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ﴾ أي: في الآخرة ﴿عَذَابٌ مُّثْقِلٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَيْهِ فَلَنْفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ تقدم الكلام في هذه الآية مستوفى في غير موضع^(٧).

(١) في الكتاب ١٧١/١.

(٢) قال البغدادي في الخزانة ٢١٩/٨: والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف قائلها، وقال ابن خلف: وقيل: هو لجابر بن رالان السُّنْبِسِي، وبينس: أبو حي من طين، ونسبه غير خدمة سيبويه إلى جرير، وإلى تأبط شراً، وإلى أنه مصنوع. ا.هـ.

(٣) ديوان النابغة ص ٣٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٣/٤-١٤.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٤/٤.

(٦) ٣٥/٩، وقراءة أبي بكر في السبعة ص ٢٦٩، والتيسير ص ١٠٧.

(٧) ٦٠/١١.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ أي: يَقْبِضُهَا عند فناء آجالها ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ اختلف فيه. فقيل: يَقْبِضُهَا عن التصرف مع بقاء أرواحها في أجسادها. ﴿فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾ وهي النائمة، فيطلقها بالتصرف إلى أجل موتها؛ قاله ابن عيسى^(١). وقال الفراء^(٢): المعنى: وَيَقْبِضُ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا عند انقضاء أجلها. قال: وقد يكون تَوَفِّيُّهَا نَوْمَهَا؛ فيكون التقدير على هذا: والتي لم تمت وفاتها نومها.

وقال ابن عباس وغيره من المفسرين: إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى الأجساد أمسك الله أرواح الأموات عنده، وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها.

وقال سعيد بن جبير: إن الله يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا وأرواح الأحياء إذا ناموا، فتتعارف ما شاء الله أن تتعارف ﴿فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾ فَيُعِيدُهَا^(٣).

قال علي^(٤): فما رأتها نفسُ النائم وهي في السماء قبل إرسالها إلى جسدها فهي الرؤيا الصادقة، وما رأتها بعد إرسالها وقبل استقرارها في جسدها تلقاها الشياطين، وتُخَيَّلُ إليها الأباطيل فهي الرؤيا الكاذبة^(٤). وقال ابن زيد: النوم وفاةٌ والموت

(١) النكت والعيون ١٢٨/٥ .

(٢) في معاني القرآن ٤٢٠/٢ .

(٣) في (م): أي: يعيدها.

(٤) النكت والعيون ١٢٨/٥ - ١٢٩ ، وقول سعيد بن جبير أخرجه الطبري ٢١٥/٢٠ .

وفاة^(١). وعن النبي ﷺ قال: «كما تنامون فكذلك تموتون، وكما توقظون فكذلك تُبعثون»^(٢). وقال عمر: النوم أخو الموت. ورُوي مرفوعاً من حديث جابر بن عبد الله قيل: يا رسول الله، أينام أهل الجنة؟ قال: «لا، النومُ أخو الموت، والجنةُ لا موتَ فيها» خرجهُ الدارقطني^(٣). وقال ابن عباس: في ابن آدم نفسٌ وروحٌ بينهما مثلُ شعاعِ الشمس، فالنفسُ التي بها العقل والتمييز، والروحُ التي بها النَّفْسُ والتحريك، فإذا نام العبدُ قبضَ اللهُ نَفْسَهُ ولم يقبضَ رُوحَهُ^(٤). وهذا قولُ ابن الأنباري والزجاج^(٥).

قال القشيري أبو نصر: وفي هذا بُعدٌ، إذ المفهوم من الآية أن النَّفْسَ المقبوضة في الحالين شيء واحد؛ ولهذا قال: ﴿فَيَمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الَمَوْتَ وَيُرْسِلُ الَأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فإذا يقبضُ اللهُ الروحَ في حالين، في حالة النوم وحالة الموت، فما قبضَهُ في حال النوم فمعناه أنه يغمُرُهُ بما يحبسُهُ عن التصرف، فكأنه شيء مقبوض، وما قبضَهُ في حال الموت فهو يُمسكه ولا يُرسله إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿وَيُرْسِلُ الَأُخْرَىٰ﴾ أي: يُزيل الحابسَ عنه فيعود كما كان. فتوفي الأنفس في حال النوم بإزالة الحسِّ وخلق العفلة والآفة في محل الإدراك. وتوفيها في حالة الموت بخلق الموت وإزالة الحسِّ بالكُلِّيَّة.

﴿فَيَمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الَمَوْتَ﴾ بالآي يخلقُ فيها الإدراك، كيف وقد خلقَ فيها الموت؟ ﴿وَيُرْسِلُ الَأُخْرَىٰ﴾ بأن يُعيدَ إليها الإحساس.

الثانية: وقد اختلف الناسُ من هذه الآية في النفس والروح؛ هل هما شيءٌ واحد أو شيئان على ما ذكرنا. والأظهر أنهما شيءٌ واحد، وهو الذي تدلُّ عليه

(١) أخرجه الطبري ٢٠/٢١٦.

(٢) لم تقف عليه.

(٣) لم تقف عليه عند الدارقطني، وسلف ٥/١٥٣.

(٤) المحرر الوجيز ٤/٥٣٤ بنحوه.

(٥) في معاني القرآن ٤/٣٥٦.

الآثار الصحاح على ما نذكره في هذا الباب، من ذلك حديث أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شقَّ بصره فأغمضه، ثم قال: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصْرُ» وحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تروا الإنسان إذا مات شَخَّصَ بَصْرُهُ» قال: «فذلك حين يَتَّبِعَ بَصْرُهُ نَفْسَهُ» خرجهما مسلم^(١).

وعنه عن النبي ﷺ قال: «تَحْضُرُ الملائكةُ فإذا كان الرجلُ صالحاً قالوا: اخرجي أيتها النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كانت في الجسدِ الطَّيِّبِ، اخرجي حميدةً، وأبشري برُوحِ وريحانِ وربِّ راضٍ غيرِ غَضبانٍ، فلا يزالُ يقالُ لها ذلك حتى تخرجَ، ثم يُعرجُ بها إلى السماء» وذكر الحديث، وإسناده صحيح، خرج ابن ماجه^(٢)؛ وقد ذكرناه في «التذكرة»^(٣).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة قال: «إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ المؤمن تَلْقَاهَا مَلَكانِ يَضَعَدَانِ بها». وذكر الحديث^(٤).

وقال بلال في حديث الوادي: أخذ بنفسي يا رسول الله الذي أخذ بنفسك^(٥). وقال رسول الله ﷺ مقابلاً له في حديث زيد بن أسلم في حديث الوادي: «يا أيها الناس، إن الله قبضَ أرواحنا، ولو شاء رَدَّها إلينا في حينٍ غيرِ هذا»^(٦).

الثالثة: والصحيح فيه أنه جسمٌ لطيفٌ مُشَابِكٌ للأجسام المحسوسة، يُجذِبُ ويُخرِجُ وفي أكفانه يُلَفُّ ويُدرَجُ، وبه إلى السماء يُعرجُ، لا يموت ولا يفنى، وهو مما له أولٌ وليس له آخر، وهو بعينين ويدين، وأنه ذو ريح طيبة وخبيثة؛ كما في حديث

(١) برقم (٩٢٠) و(٩٢١)، والحديث الأول أخرجه أحمد (٢٦٥٤٣).

(٢) الحديث (٤٢٦٢)، وهو في مسند أحمد (٨٧٦٩).

(٣) ص ٥٠.

(٤) صحيح مسلم (٢٨٧٢).

(٥) أخرجه مسلم (٦٨٠) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٦) أخرجه مالك ١/١٤ بهذا اللفظ، وأخرجه بنحوه أحمد (٢٢٦١١)، والبخاري (٥٩٥) من حديث أبي

قتادة ؓ.

أبي هريرة. وهذه صفة الأجسام لا صفة الأعراض؛ وقد ذكرنا الأخبارَ بهذا كله في كتاب «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة»^(١). وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣] يعني النَّفْسَ إلى خروجها من الجسد؛ وهذه صفة الجسم. والله أعلم.

الرابعة: خرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن رسولَ الله ﷺ قال: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليأخذُ داخلَةً إزاره فلينفُضْ بها فراشه وليُسِّمِ اللهَ، فإنه لا يعلم ما خلفه بعده»^(٢) على فراشه، فإذا أرادَ أن يضطجعَ فليضطجعَ على شِقِّه الأيمن، وليقل: سبحانك ربي، بك^(٣) وضعتُ جنبي وبك أرفعه، إن أمسكتَ نفسي فاغفرْ لها». وقال البخاري وابن ماجه والترمذي: «فارحمها» بدل «فاغفر لها»، «وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» زاد الترمذي «وإذا استيقظ فليقل: الحمد لله الذي عافاني في جسدي وردَّ عليَّ روحي، وأذن لي بذكره»^(٤).

وخرج البخاري عن حذيفة قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أخذ مَضْجعه من الليل وضعَ يده تحت خدّه؛ ثم يقول: «اللهم باسمك أموتُ وأحيا» وإذا استيقظ قال «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النُّشور»^(٥).

قوله تعالى: ﴿فِيْمَسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ هذه قراءة العامة على أنه مسمى الفاعل «الموت» نصباً؛ أي: قضى الله عليها، وهو اختيار أبي حاتم وأبي عبيد؛ لقوله في أول الآية: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ فهو يقضي عليها.

(١) ص ٥٧ وما بعدها.

(٢) في النسخ: بعد، والمثبت من صحيح مسلم.

(٣) قوله: بك، ليس في (د) و(ز) و(م)، وفي (ف): لك وأثبتناه من المصادر.

(٤) صحيح البخاري (٦٣٢٠)، وصحيح مسلم (٢٧١٤)، وسنن ابن ماجه (٣٨٧٤) وسنن الترمذي

(٣٤٠١). وهو في مسند أحمد (٧٨١١)، وقوله: بداخلة إزاره: أي: بالطرف الذي يلي الجسد. قاله

السندي في حاشية مسند أحمد.

(٥) صحيح البخاري (٦٣١٤)، وهو في مسند أحمد (٢٣٢٨٦).

وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي: «فُضِي عَلَيْهَا الْمَوْتُ» على ما لم يُسَمِّ فاعله^(١). النحاس^(٢): والمعنى واحدٌ غير أن القراءة الأولى أبينٌ وأشبهُ بنسق الكلام؛ لأنهم قد أجمعوا على «وَيُرْسَلُ» ولم يقرؤا: «وَيُرْسَلُ». وفي الآية تنبيهٌ على عظيم قدرته وانفراده بالألوهية، وأنه يفعل ما يشاء، ويحيي ويميت، لا يقدر على ذلك سواه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ يعني في قبض الله نفس الميت والنائم، وإرساله نفس النائم وحبسه نفس الميت ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقال الأصمعي: سمعتُ معتمراً يقول: روحُ الإنسان مثلُ كُبةِ الغزل، فترسل الروح، فتمضي ثم تمضي، ثم تطوى فتجيء فتدخل، فمعنى الآية أنه يُرْسَلُ من الروح شيء في حال النوم ومعظمها في البدن متصلٌ بما يخرج منها اتصالاً خفياً، فإذا استيقظ المرء جذب معظمَ روحه ما انبسط منها فعاد. وقيل غير هذا؛ وفي التنزيل: ﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] أي: لا يعلم حقيقته إلا الله. وقد تقدّم في «سبحان».

قوله تعالى: ﴿أَرِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿أَرِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ أي: بل اتَّخَذُوا، يعني: الأصنام، وفي الكلام ما يتضمّن لم؛ أي: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ لم يتفكروا، ولكنهم اتَّخَذُوا آلِهَتَهُمْ شُفَعَاءَ.

(١) قراءة حمزة والكسائي في السبعة ص ٥٦٢، والتيسير ص ١٩٠.

(٢) في إعراب القرآن ١٤/٤، وما قبله منه.

﴿قُلْ أَوْلُو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ أي: قُلْ لهم يا محمد: ألتخذونهم شفعاء وإن كانوا لا يملكون شيئاً من الشفاعة ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ لأنها جمادات^(١). وهذا استفهام إنكار.

﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ نص في أن الشفاعة لله وحده كما قال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٤] فلا شافع إلا من شفاعته ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

«جميعاً» نصب على الحال. فإن قيل: «جميعاً» إنما يكون للاثنين فصاعداً والشفاعة واحدة. فالجواب أن الشفاعة مصدر والمصدر يؤدي عن الاثنتين والجميع^(٢) ﴿لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ نصب على المصدر عند الخليل وسيبويه، وعلى الحال عند يونس. ﴿أَشْمَأَزَّتْ﴾ قال المبرد: انقبضت^(٣). وهو قول ابن عباس ومجاهد^(٤). وقال قتادة: نفرث واستكبرث وكفرث وتعصت^(٥). وقال المؤرّج: أنكرت. وأصل الأشمزاز التفرور والازورار. قال عمرو بن كلثوم:

إِذَا عَضَّ الثُّقَافُ بِهَا أَشْمَأَزَّتْ وَوَلَّتْهُمْ عَشْوَزْنَةً زُونًا^(٦)
وقال أبو زيد: أشمأز الرجل: دُعر من الفزع، وهو المذعور^(٧). وكان المشركون إذا قيل لهم: لا إله إلا الله نفروا وكفروا^(٨)، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني

(١) تفسير البغوي ٨١/٤ بنحوه.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١٤/٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ذكره البغوي في تفسيره ٨/٤.

(٥) أخرجه الطبري ٢٠/٢١٦ بنحوه.

(٦) معلقة عمرو بن كلثوم (بشرح ابن كيسان) ص ٨٥. قال الشارح: الثُّقَافُ: الخشبة التي تُقَوَّمُ بها الرماح، والعشْوَزْنَةُ: الناقة السيئة الخلق التي تزبن من يحتلبها، أي: تدفعه بيدها ورجلها.

(٧) الصحاح (شمز).

(٨) تهذيب اللغة ١١/٣٠٦.

الأوثان حين ألقى الشيطان في أمنية النبي ﷺ عند قراءته سورة «والنجم»: تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهم تُرتجى. قاله جماعة المفسرين^(١). ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ﴾ أي: يظهر في وجوههم البشر والسرور.

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ نصب لأنه نداء مضاف، وكذا ﴿عَلِيمَ الْغَيْبِ﴾ ولا يجوز عند سيويه أن يكون نعتاً^(٢).

﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وفي «صحيح» مسلم: عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: سألت عائشة رضي الله عنها: بأي شيء كان النبي ﷺ يستفتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(٣).

ولمَّا بلغ الربيع بن خثيم^(٤) قتل الحسين بن علي ﷺ قرأ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ

(١) المحرر الوجيز ٤/٥٣٤، وتفسير البغوي ٤/٨١ بنحوه، وقصة الغرائق باطلة موضوعة، وسلفت ٤٢٧/١٤، ينظر الكلام عليها ثمة.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/١٥.

(٣) صحيح مسلم (٧٧٠)، وأخرجه أحمد (٢٥٢٢٥).

(٤) في (د) و(ظ) و(ف) و(م): خيثم، والمثبت من (ز) وكتب الرجال.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿١﴾.

وقال سعيد بن جبير: إني لأعرف آية ما قرأها أحد قط فسأل الله شيئاً إلا أعطاه
إياه؛ قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ
عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلذَّيْبِ ظَلْمُوا﴾ أي: كذبوا وأشركوا ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَسَلَّمْهُمْ مَعَهُ لَأَفْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ﴾ أي: من سوء عذاب ذلك اليوم. وقد مضى هذا
في سورة «آل عمران» و«الرعد» (٣).

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ من أجل ما روي فيه ما رواه منصور عن
مجاهد قال: عملوا أعمالاً توهموا أنها حسنات فإذا هي سيئات. وقاله السدي.
وقيل: عملوا أعمالاً توهموا أنهم يتوبون منها قبل الموت، فأدرتهم الموت قبل أن
يتوبوا، وقد كانوا ظنوا أنهم ينجون بالتوبة. ويجوز أن يكونوا توهموا أنه يُغفر لهم من
غير توبة ف ﴿بَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ من دخول النار (٤).

وقال سفيان الثوري في هذه الآية: ويل لأهل الرِّياء، ويل لأهل الرِّياء، هذه
آيتهم وقصَّتْهم. وقال عكرمة بن عمار (٥): جَزَعُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ عِنْدَ مَوْتِهِ جَزَعًا
شَدِيدًا، فَقِيلَ لَهُ: مَا هَذَا الْجَزَعُ؟ قَالَ: أَخَافُ آيَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١١١/٢.

(٢) النكت والعيون ١٣٠/٥.

(٣) ١٩٨/٥ وما بعدها و٥٣/١٢.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٥/٤ دون قوله: وقاله السدي، وذكره عن السدي البغوي في تفسيره ٨٢/٤.

(٥) أبو عمار العجلي، البصري، الحافظ، من حملة الحجة وأوعية الصدق، مات سنة (١٥٩هـ).

السير ١٣٤/٧. وقوله هذا في المحرر الوجيز ٥٣٥/٤، وقول سفيان الذي قبله فيه وفي الكشف

لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٨﴾ فإنا أخشى أن يبدولي ما لم أكن أحتسب.

﴿وَيَدَا لَهُمْ﴾ أي: ظهر لهم ﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي: عقاب ما كسبوا من الكفر والمعاصي. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أي: أحاط بهم ونزل ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا نُمًّا إِذَا حَوْلَتْهُ نِعْمَةٌ مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَمَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَخْفَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوْلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا نُمًّا﴾ قيل: إنها نزلت في أبي (١) حذيفة بن المغيرة.

﴿نُمًّا إِذَا حَوْلَتْهُ نِعْمَةٌ مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ قال قتادة: «على علم» (٢) عندي بوجوه المكاسب، وعنه أيضاً «على علم» على خير عندي. وقيل: «على علم» أي: على علم من الله بفضلي. وقال الحسن: «على علم» أي: بعلم علمني الله إياه (٣). وقيل: المعنى أنه قال: قد علمتُ أنني إذا أوتيت هذا في الدنيا أن لي عند الله منزلة؛ فقال الله: ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ أي: بل النعم التي أوتيتها فتنة تُختبر بها (٤).

قال الفراء (٥): «أَنْتَ هِيَ» لتأنيث الفتنة، ولو كان: بل هو فتنة لجاز. النحاس: التقدير: بل أُعْطِيْتُهُ فِتْنَةً.

(١) لفظة: أبي، ليست في (م). والكلام من النكت والعيون ١٣٠/٥.

(٢) قوله قال: قتادة: «على علم» من (م).

(٣) الأقوال السالفة في المحرر الوجيز ٥٣٦/٤، والنكت والعيون ١٣٠/٥.

(٤) معاني القرآن للنحاس ١٨٢/٦ - ١٨٣.

(٥) في معاني القرآن ٤٢٠/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ١٥/٤.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون أن إعطاءهم المال اختبار.

قوله تعالى: ﴿فَدَقَلْنَا﴾ أَنْتَ عَلَى تَأْنِيثِ الْكَلِمَةِ^(١) ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني الكفار قبلهم، كقارون وغيره حيث قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]. ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ «ما» للجحد، أي: لم تُغن عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئاً^(٢). وقيل: أي: فما الذي أغنى أموالهم؟ ف«ما» استفهام.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي: جزاء سيئات أعمالهم. وقد يُسَمَّى جزاء السيئة سيئة. ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿مِنْ هَتَّاءِ﴾ الأمة ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي: بالجوع والسيف. ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: فاثنتين الله ولا سابقيه. وقد تقدّم^(٣).

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصَّ المؤمن بالذكر؛ لأنه هو الذي يتدبَّر الآيات وينتفع بها. ويعلم أن سعة الرِّزق قد يكون مكرماً واستدراجاً، وتقتيره رفعة وإعظماً.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ٥٩ ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ٥٥ ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ٥٥ ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّادِحِينَ﴾ ٥٦ ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ٥٧ ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُنتُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٥٨ ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ٥٩ ﴿

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ وإن

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/١٥.

(٢) تفسير البغوي ٤/٨٢ بنحوه.

(٣) ٩/٣٥ و ١١/٨.

شئت حذفت الياء؛ لأن النداء موضع حذف. النحاس^(١): ومن أجل ما روي فيه ما رواه محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال: لما اجتمعنا على الهجرة، اتعدت أنا وهشام بن العاصي بن وائل السهمي وعيَّاش بن أبي ربيعة بن عتبة^(٢)، فقلنا: الموعد أضاة^(٣) بني غفار، وقلنا: من تأخر منا فقد حُبس فليمض صاحبه، فأصبحت أنا وعيَّاش بن عتبة، وحُبس عنا هشام، وإذا به قد فتن فافتتن، فكنا نقول بالمدينة: هؤلاء قد عرفوا الله عز وجل وآمنوا برسوله ﷺ، ثم افتتنوا لبلاءٍ لحقهم لا نرى لهم توبة، وكانوا هم أيضاً يقولون هذا في أنفسهم، فأنزل الله عز وجل في كتابه: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَفْتُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿الْيَسَّ فِي جَهَنَّمَ مَوْتَىٰ لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

قال عمر: فكتبتها بيدي ثم بعثتها إلى هشام. قال هشام: فلما قدمت عليّ خرجت بها إلى ذي طوى، فقلت: اللهم فهمنيها، فعرفت أنها نزلت فينا، فرجعت فجلست على بعيري، فلحقت برسول الله ﷺ^(٤).

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان قومٌ من المشركين قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فقالوا للنبي ﷺ، أو بعثوا إليه: إن ما تدعو إليه لحسن، لو تخبرنا^(٥) أن لنا توبة؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَفْتُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾^(٦)

(١) إعراب القرآن ١٦/٤، وما قبله منه.

(٢) كذا في النسخ: عيَّاش بن أبي ربيعة بن عتبة، وفي إعراب القرآن للنحاس: عيَّاش بن عتبة، والذي في المصادر: عيَّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله القرشي المخزومي. الإصابة ١٨٤/٧، والقصة فيها في ترجمة هشام بن العاص ٢٤٦/١٠ وصحح الحافظ ابن حجر إسناده.

(٣) الأضاة: الغدير. اللسان (أضي).

(٤) السيرة النبوية ٤٧٥/١ - ٤٧٦، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٣٩٠-٣٩١.

(٥) في (د) و(ز) و(م): أو تخبرنا، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق للمصادر.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٦/٤.

ذكره البخاري بمعناه^(١). وقد مضى في آخر «الفرقان»^(٢).

وعن ابن عباس أيضاً نزلت في أهل مكة قالوا: يزعم محمد أن من عبَد الأوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يُغفر له، وكيف نهاجر ونسلم وقد عبَدنا مع الله إلهاً آخر، وقتلنا النفس التي حرم الله؟! فأنزل الله هذه الآية^(٣).

وقيل: إنها نزلت في قوم من المسلمين أسرفوا على أنفسهم في العبادة، وخافوا ألا يتقبل منهم لذنوب سبقت لهم في الجاهلية.

وقال ابن عباس أيضاً وعطاء: نزلت في وحشي قاتل حمزة؛ لأنه ظن أن الله لا يقبل إسلامه. وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: أتى وحشي إلى النبي ﷺ؛ فقال: يا محمد، أتيتك مُستجيراً فأجزني حتى أسمع كلام الله. فقال رسول الله ﷺ: «قد كنتُ أحبُّ أن أراك على غير جوار، فأما إذ أتيتني مُستجيراً فأنت في جوارِي حتى تسمع كلام الله» قال: فإني أشركتُ بالله وقتلتُ النفس التي حرم الله وزنيْتُ، هل يقبلُ الله مني توبة؟ فصمت رسول الله ﷺ حتى نزلت: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] إلى آخر الآية، فتلاها عليه؛ فقال: أرى شرطاً فلعلي لا أعمل صالحاً، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله. فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] فدعا به فتلاها عليه؛ قال: فلعلي ممن لا يشاء، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله. فنزلت: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ فقال: نعم، الآن لا أرى شرطاً. فأسلم^(٤).

(١) الحديث (٤٨١٠)، والسائل هو وحشي بن حرب قاتل حمزة رضي الله عنهما فيما ذكره الحافظ ابن

حجر في الفتح ٨/ ٥٥٠.

(٢) ٤٧٩/١٥.

(٣) أخرجه الطبري ٢٠/ ٢٢٤، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣٨٩.

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٧١٤٠)، والواحدي في أسباب النزول ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا وَلَا يُبَالِي، إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ»^(١). وفي مصحف ابن مسعود: «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لِمَن يَشَاءُ»^(٢).

قال أبو جعفر النحاس^(٣): وهاتان القراءتان على التفسير، أي: يغفر الله لمن يشاء. وقد عرّف الله عز وجل من شاء أن يغفر له، وهو التائب أو من عمل صغيرة ولم تكن له كبيرة، ودلّ على أنه يريد التائب ما بعده «وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ» فالتائب مغفور له ذنوبه جميعاً، يدل على ذلك ﴿وَإِنِّي لَفَقَارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢] فهذا لا إشكال فيه.

وقال علي بن أبي طالب: ما في القرآن آية أوسع من هذه الآية ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٤) وقد مضى هذا في «سبحان»^(٥).

وقال عبد الله بن عمر: وهذه أرجى آية في القرآن، فردّ عليهم ابن عباس وقال: أرجى آية في القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾^(٦) وقد مضى في «الرعد» [الآية: ٦].

وقرئ: «لا تَقْنَطُوا» بكسر النون وفتحها^(٧). وقد مضى في «الحجر» بيانه^(٨).

قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي: ارجعوا إليه بالطاعة. لما بين أن من تاب

(١) أخرجه الدوري في قراءات النبي ﷺ (٦٠)، والترمذي (٣٢٣٧) وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث ثابت عن شهر بن حوشب. وأسماء: هي بنت يزيد أم سلمة الأنصارية رضي الله عنها.

(٢) ذكره ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٣٢.

(٣) في إعراب القرآن ١٦/٤.

(٤) النكت والعيون ١٣١/٥.

(٥) ٣٢٣ - ٣٢٢/١٠.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٦/٤.

(٧) قرأ بكسر النون أبو عمرو والكسائي، والباقون بفتحها. السبعة ص ٣٦٧، والتيسير ص ١٣٦.

(٨) ٢٢٣/١٢ - ٢٢٤.

من الشُّرك يغفر له أمر بالتوبة والرجوع إليه، والإنابة الرجوع إلى الله بالإخلاص. ﴿وَأَسْلِمُوا لَكُمْ﴾ أي: اخضعوا له وأطيعوا ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: لا تمنعون من عذابه. ورُوي من حديث جابر أن رسولَ الله ﷺ قال: «مِن السَّعَادَةِ أَنْ يُطِيلَ اللَّهُ عُمَرَ الْمَرْءِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ»^(١) ويرزقه الإنابة، وإنَّ من الشَّقَاوَةِ أَنْ يَعْمَلَ الْمَرْءُ وَيُعْجَبَ بِعَمَلِهِ»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ «أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ» هو القرآن، وكلُّه حسنٌ، والمعنى ما قال الحسن: التزموا طاعته، واجتنبوا معصيته. وقال السدي: الأحسنُ ما أمر الله به في كتابه^(٣).

وقال ابن زيد: يعني المُحكِّمات، وكلُّوا عِلْمَ الْمُتَشَابِهِ إِلَى عَالِمِهِ. وقيل: أنزل الله كُتُبًا: التوراة والإنجيل والزبور، ثم أنزل القرآن، وأمر باتِّباعه، فهو الأحسن، وهو المُعْجِز. وقيل: هذا أحسنٌ، لأنه ناسخٌ قاضٍ على جميع الكتب، وجميع الكتب منسوخة. وقيل: يعني العفو؛ لأن الله تعالى خيَّر نبيَّه عليه الصلاة والسلام بين العفو والقصاص. وقيل: ما علَّم الله النبيَّ عليه الصلاة والسلام وليس بقرآن فهو حسن، وما أوحى إليه من القرآن فهو الأحسن. وقيل: أحسن ما أنزل إليكم من أخبار الأمم الماضية.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَصْرَيْنِ﴾ «أَنْ» في موضع نصب، أي: كراهةً «أَنْ تَقُولَ» وعند الكوفيين: لثلاثا تقول^(٤)، وعند البصريين حَذَرَ «أَنْ تَقُولَ». وقيل: أي:

(١) في (م): الطاعة.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٨٩)، وفي إسناده كثير بن زيد الأسلمي. ضَعَفَهُ أَكْثَرُهُمْ. كما في الميزان ٤٠٤/٣.

(٣) تفسير البغوي ٨٥/٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٧/٤.

من قبل «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ» لأنه قال قبل هذا: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾^(١).

الزمخشري^(٢): «فَإِنْ قَلَّتْ: لَمْ نُكْرُثْ؟ قَلَّتْ: لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا بَعْضُ الْأَنْفُسِ، وَهِيَ نَفْسُ الْكَافِرِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ نَفْسًا مُمْتِيزَةً مِنَ الْأَنْفُسِ، إِمَّا بِلِجَاجٍ فِي الْكُفْرِ شَدِيدٍ، أَوْ بِعِقَابٍ عَظِيمٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ التَّكْثِيرُ كَمَا قَالَ الْأَعْمَشِيُّ:

وَرُبَّ بَقِيعٍ لَوْ هَتَفْتُ بِجَوِّهِ أَتَانِي كَرِيمٌ يَنْفُضُ الرَّأْسَ مُغْضَبًا^(٣)
وهو يريد أفواجاً من الكرام ينصرونه، لا كريماً واحداً، ونظيره: رُبَّ بَلَدٍ قَطَعْتُ، وَرُبَّ بَطْلٍ قَارَعْتُ، وَلَا يَقْصَدُ إِلَّا التَّكْثِيرُ^(٤).

«يَا حَسْرَتَا» وَالْأَصْلُ «يَا حَسْرَتِي» فَأَبْدَلَ مِنَ الْيَاءِ أَلْفًا؛ لِأَنَّهَا أَخْفَتْ وَأَمَكْنَ فِي الْإِسْتِغَاثَةِ بِمَدِّ الصَّوْتِ^(٥)، وَرَبَّمَا أَلْحَقُوا بِهَا الْهَاءَ؛ أَنْشَدَ الْفَرَّاءُ:

يَا مَرْحَبًا بِحِمَارِ نَاجِيَةٍ إِذَا أَتَى قَرَبَتْهُ لِسَانِيَّةٌ^(٦)
وربما أَلْحَقُوا بِهَا الْيَاءَ بَعْدَ الْأَلْفِ؛ لِتَدَلُّ عَلَى الْإِضَافَةِ. وَكَذَلِكَ قَرَأَهَا أَبُو جَعْفَرٍ:
«يَا حَسْرَتَايَ»^(٧). وَالْحَسْرَةُ النَّدَامَةُ.

﴿عَلَى مَا قَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ قَالَ الْحَسَنُ: فِي طَاعَةِ اللَّهِ^(٨). وَقَالَ الضَّحَّاكُ: أَيُّ: فِي ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: يَعْنِي الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ بِهِ^(٩). وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: «فِي جَنْبِ

(١) زاد المسير ١٩٢/٧ بنحوه.

(٢) الكشف ٤٠٤/٣.

(٣) ديوان الأعشى ص ١٦٥.

(٤) الكشف ٤٠٤/٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٧/٤ بنحوه.

(٦) معاني القرآن للفراء ٤٢٢/٢، وفيه: ناهيه، بدل ناجيه. والرجز في الخزانة ٣٨٧/٢. وفيها: السانية: الدلو العظيمة وأداتها.

(٧) النشر ٣٦٢/٢.

(٨) ذكره البغوي في تفسيره ٨٥/٤.

(٩) إعراب القرآن للنحاس ١٧/٤.

الله» أي: في ثواب الله^(١). وقال الفراء: الجَنبُ القُرب والجوار؛ يقال: فلان يعيش في جَنبِ فلان، أي: في جواره؛ ومنه ﴿وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ﴾ [النساء: ٣٦] أي: على ما فَرَطْتُ في طلب جِواره وقُربه، وهو الجنة^(٢). وقال الزجاج^(٣): أي: على ما فَرَطْتُ في الطريق الذي هو طريق الله الذي دعاني إليه.

والعرب تُسمِّي السببَ والطريقَ إلى الشيء جَنباً؛ تقول: تجرعتُ في جَنبِكَ غصصاً؛ أي: لأجلِكَ وسببِكَ ولأجل مَرَضاتِكَ. وقيل: «في جَنبِ الله» أي: في الجانب الذي يؤدِّي إلى رضا الله عزَّ وجلَّ وثوابه، والعرب تُسمِّي الجانبَ جَنباً^(٤)، قال الشاعر:

فَسِمَ مَجْهُوداً لِذَلِكَ القَلْبُ النَّاسُ جَنبٌ وَالأمِيرُ جَنبٌ^(٥)

يعني: الناس من جانب والأمير من جانب. وقال ابن عرفة: أي: تركتُ من أمر الله؛ يقال: ما فعلت ذلك في جَنبِ حاجتي؛ قال كُثَيْبٌ:

أَلَا تَتَّقِينَ اللهَ فِي جَنبِ عَاشِقٍ لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكَ تَقَطَّعُ^(٦)

وكذا قال مجاهد؛ أي: ضيعت من أمر الله^(٧). ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «ما جلس رجلٌ مجلساً، ولا مَشَى ممشى، ولا اضطجع مضطجعاً لم يذكر الله عزَّ وجلَّ فيه إلا كان عليه تِرةٌ يومَ القيامة» أي: حسرة؛ خرجه أبو داود بمعناه^(٨). وقال إبراهيم التيمي: من الحَسراتِ يومَ القيامة أن يرى الرجلُ مالَهُ الذي آتاه اللهُ في الدنيا يومَ

(١) في مجاز القرآن، ١٩٠/٢ لأبي عبيدة: «في جنب الله» وفي ذات الله واحد.

(٢) ذكره عن الفراء ابن الجوزي في زاد المسير ١٩٢/٧.

(٣) في معاني القرآن ٣٥٩/٤.

(٤) تفسير البغوي ٨٥/٤.

(٥) لم نقف على قائل هذا الرجز، وأورد البيت الثاني الأخفش في معاني القرآن ٤٤٦/١.

(٦) ديوان كُثَيْبٍ ص ١٧٧، وفيه: حب، بدل: جنب، وتصدع، بدل: تقطع.

(٧) المحرر الوجيز ٥٣٨/٤ بنحوه.

(٨) سنن أبي داود (٤٨٥٦) من حديث أبي هريرة ؓ، وأخرجه أحمد (٩٥٨٣) بنحوه، واللفظ الذي أورده

المصنف في إعراب القرآن للنحاس ١٧/٤.

القيامة في ميزان غيره قد ورثه وعَمِلَ فيه بالحق، كان له أجره وعلى الآخر وزره، ومن الحسرات أن يرى الرجل عبده الذي خوله الله إياه في الدنيا أقرب منزلة من الله عز وجل، أو يرى رجلاً يعرفه أعمى في الدنيا قد أبصر يوم القيامة وعمي هو^(١). ﴿وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ﴾ أي: وما كنت إلا من المُستهزئين بالقرآن وبالرسول في الدنيا بأولياء الله، قال قتادة: لم يكفِهِ أن ضيَّع طاعةَ الله حتى سَخَرَ من أهلها^(٢).

ومحلّ «إن كنت» النصب على الحال؛ كأنه قال: فرطت وأنا ساخر؛ أي: فرطت في حال سُخْرِي^(٣). وقيل: وما كنت إلا في سُخْرِيه ولعب وباطل؛ أي: ما كان سعيي إلا في عبادة غير الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُ﴾ هذه النَّفْس ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ أي: أرشدني إلى دينه ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: الشُّرْكَ والمعاصي. وهذا القول: لو أن الله هداني لاهتديت، قولٌ صدق. وهو قريبٌ من احتجاج المشركين فيما أخبر الربُّ جلَّ وعزَّ عنهم في قوله: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] فهي كلمة حقٌ أريد بها باطل؛ كما قال عليٌّ ؑ لَمَّا قال قائلٌ من الخوارج: لا حكم إلا لله^(٤).

﴿أَوْ تَقُولُ﴾ يعني هذه النَّفْس ﴿حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ أي: رجعة. ﴿فَأَكُونُ﴾ نصب على جواب التمني، وإن شئت كان معطوفاً على «كرّة» لأن معناه: أن أكرّ؛ كما قال الشاعر:

لَلْبُسِّ عِبَاءَةٌ وَتَقَرَّرَ عَيْنِي
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ^(٥)
وأنشد الفراء:

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٧/٤ .

(٢) أخرجه الطبري ٢٠/٢٣٤ .

(٣) الكشف ٣/٤٠٤ .

(٤) أخرجه مسلم (١٠٦٦): (١٥٧).

(٥) قائلته ميسون بنت بحدل الكلية، وسلف الشطر الأول ٨/٥٠، ينظر تخريجه ثمة، والكلام من إعراب القرآن للنحاس ١٨/٤ .

فَمَا لَكَ مِنْهَا غَيْرُ ذِكْرِي وَخَشْيَةٍ وَتَسْأَلُ عَنْ رُكْبَانِهَا أَيْنَ يَمَّمُوا^(١)
فَنصَبَ وَتَسْأَلُ عَلَى مَوْضِعِ الذِّكْرِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ: فَمَا لَكَ مِنْهَا إِلَّا أَنْ تَذَكَرَ.
وَمِنْهُ: لِلْبَيْسِ عِبَاءَةٌ وَتَقَرَّرَ؛ أَي: لِأَنَّ أَلْبَسَ عِبَاءَةً وَتَقَرَّرَ.

وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ: كَانَ رَجُلٌ عَالِمٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَدَ رَقْعَةً: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ
الزَّمَانَ الطَّوِيلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ، فَيَخْتَمُّ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ
لَيَعْمَلُ الزَّمَانَ الطَّوِيلَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، ثُمَّ يَخْتَمُّ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ
الْجَنَّةَ؛ فَقَالَ: وَلَايَ شَيْءٍ أُتِعِبُ نَفْسِي، فَتَرَكَ عَمَلَهُ وَأَخَذَ فِي الْفُسُوقِ وَالْمَعْصِيَةِ،
وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: لَكَ عَمْرٌ طَوِيلٌ، فَتَمَتَّعْ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ تَتُوبُ، فَأَخَذَ فِي الْفُسُوقِ وَأَنْفَقَ
مَالَهُ فِي الْفُجُورِ، فَأَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فِي أَلْدَمَّا كَانَ، فَقَالَ: يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتَ
فِي جَنْبِ اللَّهِ؛ ذَهَبَ عَمْرِي فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ، فَتَدَمَّ حِينَ لَا يَنْفَعُهُ التَّدَمُّ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ
خَبْرَهُ فِي الْقُرْآنِ^(٢).

وَقَالَ قَتَادَةُ: هَؤُلَاءِ أَصْنَافٌ؛ صِنْفٌ مِنْهُمْ قَالَ: ﴿بِحَسْرَتِكَ عَلَيَّ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ
اللَّهِ﴾، وَصِنْفٌ مِنْهُمْ قَالَ: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ وَقَالَ آخَرُ:
﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣). فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى رَدًّا لِكَلَامِهِمْ: ﴿بَلَى قَدْ
جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ^(٤): «بَلَى» جَوَابُ النَّفْيِ، وَلَيْسَ فِي الْكَلَامِ لَفْظُ النَّفْيِ، وَلَكِنْ مَعْنَى
«لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي» مَا هَدَانِي، وَكَأَنَّ هَذَا الْقَائِلَ قَالَ: مَا هَدَيْتَ؛ فَقِيلَ: بَلَى، قَدْ بَيَّنَّ
لَكَ طَرِيقَ الْهُدَى، فَكُنْتَ بِحَيْثُ لَوْ أَرَدْتَ أَنْ تُؤْمِنَ أَمْكَنَكَ أَنْ تُؤْمِنَ.

«آيَاتِي» أَي: الْقُرْآنَ. وَقِيلَ: عَنَى بِالْآيَاتِ الْمُعْجَزَاتِ؛ أَي: وَضَحَ الدَّلِيلَ فَأَنْكَرْتَهُ
وَكَذَّبْتَهُ ﴿وَأَسْتَكْبَرْتَ﴾ أَي: تَكَبَّرْتَ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

وَقَالَ: ﴿وَأَسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ﴾ وَهُوَ خِطَابُ الذِّكْرِ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ تَقَعُ عَلَى الذِّكْرِ

(١) معاني القرآن للفراء ٤٢٣/٢، وفيه: وحسبة، بدل: وخشية. ولم نهتد إلى قائله.

(٢) ذكر القصة بنحوها ومختصرة الزمخشري في الكشاف ٤٠٤/٣ ولم ينسبها.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣٦/٢٠.

(٤) في معاني القرآن ٣٥٩/٤ - ٣٦٠.

والأنتى. يقال: ثلاثة أنفس. وقال المبرد: تقول العرب: نفس واحد، أي: إنسان واحد. وروى الربيع بن أنس عن أم سلمة عن النبي ﷺ قرأ: «قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين»^(١).

وقرأ الأعمش: «بلى قد جاءت آياتي»^(٢) وهذا يدل على التذكير. والربيع بن أنس لم يلحق أم سلمة إلا أن القراءة جائزة؛ لأن النفس تقع للمذكر والمؤنث. وقد أنكر هذه القراءة بعضهم وقال: يجب إذا كسر التاء أن تقول: وكنت من الكوافر أو من الكافرات.

قال النحاس^(٣): وهذا لا يلزم؛ ألا ترى أن قبله «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ» ثم قال: «وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ» ولم يقل: من السواخر، ولا من الساخرات. والتقدير في العربية على كسر التاء: «واستكبرت وكنت» من الجمع^(٤) الساخرين، أو من الناس الساخرين، أو من القوم الساخرين.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١٥﴾ وَيَسْخَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٧﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ أي: مما حاط بهم من غضب الله ونقمته. وقال الأخفش^(٥): «تَرَى» غير عامل في قوله:

(١) أخرجها الدوري في قراءات النبي ﷺ (٩٩)، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٣١،

والكلام من معاني القرآن للنحاس ١٨٧/٦ - ١٨٨.

(٢) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٣٨/٤.

(٣) في معاني القرآن للنحاس ١٨٧/٦ - ١٨٨، وما قبله منه.

(٤) في النسخ: الجمع، والمثبت من (م).

(٥) في معاني القرآن ٦٧٢/٢.

«وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ» إنما هو ابتداءٌ وخبر.

الزمخشري^(١): جملة في موضع الحال إن كان «تَرَى» من رؤية البصر، ومفعول ثانٍ إن كان من رؤية القلب.

«الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَمُوتَى لَلْمُتَكَبِّرِينَ» وبيّن رسول الله ﷺ معنى الكِبْر فقال عليه الصلاة والسلام: «سَفَهُ الْحَقِّ وَغَمَضُ النَّاسِ» أي: احتقارهم. وقد مضى في «البقرة»^(٢) وغيرها.

وفي حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالذَّرِّ يَلْحَقُهُم الصَّغَارُ حَتَّى يُؤْتَى بِهِمْ إِلَى سَجْنِ جَهَنَّمَ»^(٣).

قوله تعالى: «وَيَسْجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا» وقرئ: «وَيُنْجِي»^(٤) أي: من الشرك والمعاصي. «بِمَفَازَاتِهِمْ» على التوحيد قراءة العامة؛ لأنها مصدر. وقرأ الكوفيون: «بِمَفَازَاتِهِمْ»^(٥)، وهو جائز كما تقول: بسعاداتهم.

وعن النبي ﷺ تفسير هذه الآية من حديث أبي هريرة، قال: «يَحْشَرُ اللَّهُ مَعَ كُلِّ امْرئٍ عَمَلَهُ، فَيَكُونُ عَمَلُ الْمُؤْمِنِ مَعَهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَأَطْيَبِ رِيحٍ، فَكَلِمَا كَانَ رُغْبٌ أَوْ خَوْفٌ قَالَ لَهُ: لَا تُرْغُ، فَمَا أَنْتَ بِالْمُرَادِ بِهِ، وَلَا أَنْتَ بِالْمَعْنِيِّ بِهِ، فَإِذَا كَثُرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ قَالَ: فَمَا أَحْسَنُكَ، فَمَنْ أَنْتَ؟! فَيَقُولُ: أَمَا تَعْرِفْنِي، أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ حَمَلْتَنِي عَلَى ثِقَلِي، فَوَاللَّهِ لِأَحْمَلَنَّكَ وَلَأَدْفَعَنَّ عَنْكَ، فَهِيَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ: «وَيَسْجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَاتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ أَلْسُوهُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^(٦).

(١) الكشاف ٤٠٦/٣.

(٢) ٤٤١/١، والحديث أخرجه أحمد (٦٥٨٣) مطولاً من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، ومسلم (٩١) من حديث ابن مسعود ﷺ بلفظ: «.. الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ».

(٣) أخرجه أحمد (٦٦٧٧)، والترمذي (٢٤٩٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. والكلام السالف من إعراب القرآن للنحاس ١٩/٤.

(٤) قرأ بها يعقوب في رواية روح. النشر ٢٥٩/٢.

(٥) قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي: «بِمَفَازَاتِهِمْ» بالألف على الجمع، والباقون بغير ألف على التوحيد. السبعة ص ٥٦٢، والتيسير ص ١٩٠.

(٦) لم تقف عليه بهذا اللفظ، ونقله المصنف من إعراب القرآن للنحاس ١٩/٤.

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي: حافظ وقائم به. وقد تقدّم.
قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ واحدها مقليد. وقيل: مقلاد، وأكثر ما
يُستعمل فيه إقليد. والمقاليد المفاتيح؛ عن ابن عباس وغيره. وقال السدي: خزائن
السموات والأرض^(١). وقال غيره: خزائن السماوات المطر، وخزائن الأرض
النبات^(٢). وفيه لغة أخرى: أقاليد، وعليها يكون واحدها إقليد^(٣).

قال الجوهري^(٤): والإقليد المفتاح، والمقلد مفتاح كالمنجل، ربما يُقلد به
الكلاً كما يُقلد القث إذا جعل جبلاً؛ أي: يُقتل، والجمع المقلد. وأقلد البحر على
خلقي كثير، أي: غرقهم، كأنه أغلق عليهم.

وخرّج البيهقي عن ابن عمر أن عثمان بن عفان رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير
قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما سألتني عنها أحد؛
لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، أستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، يُحيي ويميت؛ بيده الخير
وهو على كل شيء قدير»^(٥). ذكره الثعلبي في «تفسيره»، وزاد: «من قالها إذا أصبح
أو أمسى عشر مرات أعطاه الله ست خصال: أولها: يُحرّس من إبليس، والثانية:
يحضره اثنا عشر ألف ملك، والثالثة: يُعطى قنطاراً من الأجر، والرابعة: تُرفع له
درجة، والخامسة: يُزوجه الله من الحور العين، والسادسة: يكون له من الأجر كمن
قرأ القرآن والتوراة والإنجيل والزبور، وله أيضاً من الأجر كمن حجّ واعتمر فقبلت

(١) المحرر الوجيز ٥٣٩/٤، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٠/٤، وقولا ابن عباس رضي الله عنهما
والسدي أخرجهما الطبري ٢٠/٢٤٢.

(٢) زاد المسير ١٩٤/٧.

(٣) تفسير الطبري ٢٠/٢٤٢.

(٤) في الصحاح (قلد).

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي (١٩)، وينظر التعليق التالي.

حَجَّتْهُ وَعُمَرْتَهُ، فَإِنْ مَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ مَاتَ شَهِيداً»^(١).

وروى الحارث^(٢) عن عليّ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن تفسيرِ المقاليد فقال: «يا عليّ، لقد سألتَ عن عظيم، المقاليد: هو أن تقول عشراً إذا أصبحت وعشراً إذا أمسيت: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، وأستغفر الله، ولا قوّة إلا بالله الأوّل والآخِرِ والظاهرِ والباطنِ، له الملك وله الحمد، بيده الخيرُ وهو على كلِّ شيءٍ قدير» من قالها عشراً إذا أصبح وعشراً إذا أمسى أعطاه الله خِصَالاً ستّاً: أولها يَحْرُسُه من الشيطان وجنوده، فلا يكون لهم عليه سلطان، والثانية: يُعْطَى قِنطاراً في الجنة هو أثقلُ في ميزانه من جبل أحد، والثالثة: تُرْفَع له درجة لا ينالها إلا الأبرار، والرابعة: يُزَوِّجُه الله من الحور العين، والخامسة: يشهده اثنا عشر ألف مَلَك يكتبونها له في رَقٍّ منشور ويشهدون له بها يومَ القيامة، والسادسة: يكون له من الأجر كأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وكمن حجَّ واعتمر فَقَبِلَ اللهُ حَجَّتَهُ وَعُمَرْتَهُ، وإن مات من يومه أو ليلته أو شهره طُبِعَ بطابع الشهداء.

وقيل: المقاليد الطاعة يقال: ألقى إلى فلان بالمقاليد، أي: أطاعه فيما يأمره؛ فمعنى الآية: له طاعةٌ من في السماوات والأرض.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثِتِ اللَّهِ﴾ أي: بالقرآن والحجج والدلالات. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ تقدم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَ أَنْعْبُدَ﴾ وذلك حين دعوا النبي ﷺ إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام، وقالوا: هو دينُ آبائنا.

(١) أخرجه بتمامه ابن الجوزي في الموضوعات ٩٦/١ - ٩٧، وقال: وهذا الحديث من الموضوعات النادرة التي لا تليق بمنصب رسول الله ﷺ، لأنه مُنْزَعٌ عن الكلام الركيك والمعنى البعيد. قال الذهبي في الميزان ٨٤/٤ - ٨٥ بعد أن أورد الحديث: هذا موضوع فيما أرى، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١١٢/٧: غريب، فيه نكارة شديدة، وفي صحته نظر.

(٢) هو الحارث بن عبد الله الهمداني الأعور، كذّبه الشعبي وابن المدينة، وكان ابن سيرين يرى أن عامّة ما يرويه عن عليّ باطل. ميزان الاعتدال ٤٣٦/١.

و«غير» نصب بـ «أَعْبُدُ» على تقدير: أَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ فيما تأمرُوني. ويجوز أن ينتصب بـ «تَأْمُرُونِي» على حَذْفِ حرف الجرّ؛ التقدير: أتأمرُوني بغير الله أن أَعْبُدَهُ، لأنَّ أن مُقَدَّرَةٌ، وأنَّ والفعل مصدر، وهي بدل من غير؛ التقدير: أتأمرُوني بعبادة غير الله^(١).

وقرأ نافع: «تَأْمُرُونِي» بنون واحدة مخففة وفتح الياء. وقرأ ابن عامر: «تَأْمُرُونِي» بنونين مُخَفَّفَتَيْنِ على الأصل. الباقون بنون واحدة مُشَدَّدَةٌ على الإدغام^(٢)، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لأنها وقعت في مصحف عثمان بنون واحدة. وقرأ نافع على حذف النون الثانية، وإنما كانت المحذوفة الثانية؛ لأن التكرير والتثقيل يقع بها، وأيضاً حذف الأولى لا يجوز؛ لأنها دلالة الرفع. وقد مضى في «الأنعام» بيانه عند قوله تعالى: «أَتَحَاجُّونِي»^(٣).

«أَعْبُدُ» أي: أن أَعْبُدَ، فلما حذف «أن» رفع؛ قاله الكسائي^(٤). ومنه قول الشاعر:

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضَرُ الْوَعَى^(٥)

والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ: «أَعْبُدُ» بالنصب.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ﴾ قيل: إنَّ في الكلام تقديمًا وتأخيرًا؛ والتقدير: لقد أوحى إليك لئن أشركت، وأوحى إلى الذين من قبلك

(١) مشكل إعراب القرآن ٢/٦٣٢.

(٢) السبعة ص ٥٦٣، والتيسير ص ١٩٠.

(٣) ٤٤٣/٨.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٠.

(٥) قائله طرفه، وسلف بتمامه ١٤/١٨.

كذلك. وقيل: هو على بابه^(١)؛ قال مقاتل: أي: أوحى إليك وإلى الأنبياء قبلك بالتوحيد، والتوحيد محذوف. ثم قال: «لَيْزِنَ أَشْرَكَتَ» يا محمد ﴿لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ وهو خِطَابٌ للنبي ﷺ خاصةً. وقيل: الخطاب له والمراد أمته؛ إذ قد عَلِمَ اللهُ أنه لا يُشْرِكُ، ولا يقع منه إشراك. والإحباط الإبطال والفساد. قال القشيري: فمن ارتدَّ لم تنفعه طاعاته السابقة، ولكن إحباط الرِّدة العملَ مشروطٌ بالوفاء على الكُفر؛ ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَسْتَوْجِبْ لَهُ كُفْرًا فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧] فالمُطلقُ ها هنا محمولٌ على المُقَيَّدِ؛ ولهذا قلنا: مَنْ حَجَّ ثم ارتدَّ؛ ثم عاد إلى الإسلام لا يجب عليه إعادة الحجِّ.

قلت: هذا مذهب الشافعي. وعند مالك تجب عليه الإعادة، وقد مضى في «البقرة» بيانُ هذا مستوفى^(٢).

قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاغْبُذْ﴾ النحاس^(٣): في كتابي عن أبي إسحاق^(٤) لفظ اسم الله عز وجل منصوب بـ «اغْبُذْ» قال: ولا اختلاف في هذا بين البصريين والكوفيين. قال النحاس: وقال الفراء^(٥) يكون منصوباً بإضمار فعل. وحكاة المهدي عن الكسائي. فأما الفاء، فقال الزجاج: إنها للمجازاة. وقال الأخفش: هي زائدة. وقال ابن عباس: «فاغْبُذْ» أي: فوحِّد. وقال غيره: «بَلِ اللّٰه» فأطع ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لنعمه بخلاف المشركين^(٦).

(١) المحرر الوجيز ٤/٥٤٠ بنحوه.

(٢) ٤٣٠/٣.

(٣) إعراب القرآن ٤/٢١.

(٤) هو الزجاج، وقوله في معاني القرآن ٤/٣٦١.

(٥) في معاني القرآن ٢/٤٢٤.

(٦) تفسير أبي الليث ٣/١٥٦ بنحوه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ قال المبرد: ما عَظَموه حَقَّ عَظَمته من قولك: فلانٌ عظيم القدر. قال النحاس^(١): والمعنى على هذا: وما عَظَموه حَقَّ عَظَمته إذ^(٢) عبدوا معه غيره، وهو خالق الأشياء ومالكها. ثم أخبر عن قُدرته وعَظَمته، فقال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾.

ثم نَرَه نفسه عن أن يكون ذلك بجارحة فقال: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. وفي الترمذي عن عبد الله قال: جاء يهودي إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، إنَّ الله يُمسك السماوات على إصبع [والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع] والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذُه، ثم قال: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ». قال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح^(٣).

وفي البخاري ومسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثم يقول: أنا المَلِكُ، أين مُلوكُ الأرض»^(٤). وفي الترمذي: عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ قالت: قلت: فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «على جِسْر جهنم» في رواية «على الصُّرَاطِ يا عائشة» قال:

(١) في إعراب القرآن ٤/٢١ - ٢٢، وما قبله منه.

(٢) في (م): إذا، والمثبت موافق لإعراب القرآن للنحاس.

(٣) سنن الترمذي (٣٢٣٨)، وأخرجه أحمد (٤٠٨٧)، والبخاري (٧٤١٤)، وما بين حاصرتين من المصادر.

(٤) صحيح البخاري (٦٥١٩)، وصحيح مسلم (٢٧٨٧)، وأخرجه أحمد (٨٨٦٣).

حديث حسن صحيح^(١).

وقوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾، و«يَقْبِضُ اللّهُ الْأَرْضَ» عبارة عن قدرته وإحاطته بجميع مخلوقاته^(٢)؛ يقال: ما فلان إلا في قبضتي بمعنى: ما فلان إلا في قدرتي، والناس يقولون: الأشياء في قبضته، يريدون في ملكه وقدرته. وقد يكون معنى الْقَبْضِ وَالطِّي إِفْنَاءَ الشَّيْءِ وإذهابه فقله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِهِ: وَالْأَرْضُ جَمِيعًا ذَاهِبَةٌ فَانِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. والمراد بالأرض الْأَرْضُونَ السَّبْعُ؛ يشهد لذلك شاهدان: قوله: «وَالْأَرْضُ جَمِيعًا»، ولأن الموضع موضعُ تَفْخِيمٍ، فهو مُقْتَضٍ لِلْمَبَالِغَةِ. وقوله: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ ليس يريد به طياً بعلاج وانتصاب، وإنما المرادُ بِذَلِكَ الْفَنَاءِ وَالذَّهَابِ؛ يقال: قد انطوى عنّا ما كنا فيه وجاءنا غيره. وانطوى عنّا دهرٌ بمعنى المضيّ والذهاب. واليمين في كلام العرب قد تكون بمعنى الْقُدْرَةِ وَالْمُلْكِ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [الروم: ٢٨] يريد به الملك؛ وقال ﴿لَاخِذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥] أي: بالقوة والقُدْرَةِ، أي: لأخذنا قوته وقدرته. قال الفراء^(٣) والمبرد: اليمين القوة والقُدْرَةُ. وأنشدا:

إِذَا مَا رَايَةَ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ^(٤)

قال آخر:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّمْسَ أَشْرَقَ نَوْرُهَا تَنَاوَلْتُ مِنْهَا حَاجَتِي بِيَمِينِ
قَتَلْتُ شُنَيْفًا ثُمَّ فَارَانَ بَعْدَهُ وَكَانَ عَلَى الْآيَاتِ غَيْرَ أَمِينِ
وإنما خصَّ يومَ القيامةَ بالذكرَ وإن كانت قدرته شاملةً لكل شيء أيضاً؛ لأن

(١) سنن الترمذي (٣٢٤١) و(٣٢٤٢)، وأخرجه أحمد (٢٤٨٥٦) و(٢٤٠٦٩).

(٢) الصواب إثبات صفة القبضه لله عز وجل من غير تشبيه ولا تأويل ولا تمثيل.

(٣) نقله المصنف عنه بواسطة البيهقي في الأسماء والصفات ١٥٩/٢ - ١٦٠، والكلام السالف منه.

(٤) قائله الشماخ بن ضرار، وسلف ٣٨/٦.

الدعاوى تنقطع ذلك اليوم، كما قال: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] وقال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ حسب ما تقدّم في «الفاحة»^(١) ولذلك قال في الحديث: «ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض» وقد زدنا هذا الباب في «التذكرة» بياناً^(٢)، وتكلّمنا على ذكر الشمال في حديث ابن عمر قوله: «ثم يطوي الأرض بشماله»^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ﴾ بيّن ما يكون بعد قبض الأرض وطّي السماء، وهو النفخ في الصور، وإنما هما نفختان؛ يموت الخلق في الأولى منهما ويحيون في الثانية، وقد مضى الكلام في هذا في «النمل» و«الأنعام» أيضاً^(٤). والذي ينفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام. وقد قيل: إنه يكون معه جبريل؛ لحديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ صَاحِبِي الصُّورِ بِأَيْدِيهِمَا - أَوْ فِي أَيْدِيهِمَا - قِرْنَانِ يُلَاحِظَانِ النَّظَرَ مَتَى يُؤْمِرَانِ» خرجه ابن ماجه في «السنن»^(٥).

وفي كتاب أبي داود: عن أبي سعيد الخدري قال: ذكر رسول الله ﷺ صاحب الصُّور، وقال: «عن يمينه جبرائيلُ وعن يساره ميكائيلُ»^(٦). واختلف في المُستثنى مَنْ هم. فقيل: هم الشهداء مُتقلِّدين أسيافهم حول العرش. روي مرفوعاً من حديث أبي هريرة فيما ذكر القشيري^(٧)، ومن حديث عبد الله بن عمر فيما ذكر الثعلبي.

(١) ٢١٥/١ وما بعدها.

(٢) ص ١٩٠.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٨٨) وفيه: الأرضين، بدل: الأرض.

(٤) ٢٣٩/١٣ وما بعدها، ٤٣٠/٨ وما بعدها.

(٥) الحديث (٤٢٧٣)، وفي إسناده الحجاج بن أرطاة وعطية العوفي، وكلاهما ضعيف. تهذيب التهذيب ٣٥٦/١ و١١٤/٣.

(٦) سنن أبي داود (٣٩٩٩)، وأخرجه أحمد (١١٠٦٩)، وفي إسناده عطية العوفي، وهو ضعيف كما ذكرنا في التعليق السابق.

(٧) وأخرجه البيهقي في البعث والنشور (٦٧).

وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام. ورؤي من حديث أنس أن النبي ﷺ تلا ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ فقالوا: يا نبي الله، مَنْ هم الذين استثنى الله تعالى؟ قال: «هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فيقول الله تعالى لملك الموت: يا مَلَكُ الموت، مَنْ بقي من خَلْقِي، وهو أعلمُ فيقول: يا رب، بقي جبريل وميكائيل وإسرافيل وعبْدُكَ الضعيفُ مَلَكُ الموت، فيقول الله تعالى: خُذْ نَفْسَ إِسْرَافِيلَ وَمِيكَائِيلَ، فَيَخْرُجَانِ مَيِّتِينَ كَالطَّوْدَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ، فيقول: مُتَّ يَا مَلَكُ الموت، فيموت، فيقول الله تعالى لجبريل: يا جبريل، مَنْ بقي، فيقول: تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، وجهك الباقي الدائم وجبريل الميتُ الفاني، فيقول الله تعالى: يا جبريل، لا بدَّ من موتك فيقع ساجداً يخفقُ بجناحيه يقول: سبحانك ربي، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام» فقال النبي ﷺ: «إِنَّ فَضْلَ خَلْقِهِ عَلَى خَلْقِ مِيكَائِيلَ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ عَلَى الظَّرْبِ مِنَ الظَّرَابِ» ذكره الثعلبي^(١). وذكره النحاس أيضاً من حديث محمد بن إسحاق، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ في قوله جلَّ وعزَّ: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قال: «جبريل وميكائيل وحَمَلَةُ العرش وملك الموت وإسرافيل»^(٢).

وفي هذا الخبر^(٣) أَنَّ آخِرَهُمْ مَوْتاً جَبْرِيلُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الشَّهَادَةِ أَصْحَحُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي «النمل»^(٤).

وقال الضحاك: هو رضوان والحوار ومالك والزبانية. وقيل: عقارب أهل النار وحياتها.

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٦٨) وسنده ضعيف فيما قاله الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٧١/١١.

والظرب: الجبل الصغير. القاموس (ظرب).

(٢) معاني القرآن للنحاس ١٩٣/٦ - ١٩٤ ، وأخرجه الطبري ٢٥٤/٢٠ من طريق محمد بن إسحاق به

وزيد الرقاشي ضعيف كما في تهذيب التهذيب ٤٠٣/٤ .

(٣) في (م): الحديث.

(٤) ٢٤١/١٣ .

وقال الحسن: هو الله الواحد القهَّار وما يدعُ أحداً من أهل السماء والأرض إلا أذاقه الموت^(١). وقال قتادة: الله أعلمُ بِثَنِيَاهِ^(٢).

وقيل: الاستثناء في قوله: «إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ» يرجع إلى مَنْ مات قبل النفخة الأولى؛ أي: فيموت مَنْ في السماوات والأرض إلا من سبق موته؛ لأنهم كانوا قد ماتوا.

وفي «الصحيحين» وابن ماجه - واللفظ له - عن أبي هريرة قال: قال رجلٌ من اليهود بسوق المدينة: والذي اصطفى موسى على البشر؛ فرفع رجلٌ من الأنصار يده فَلَطَمَهُ؛ قال: تقولُ هذا وفينا رسولُ الله ﷺ. فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «قال الله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ فأكون أولَ من رفع رأسه، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمةٍ من قوائم العرش، فلا أدري أرفعُ رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله؟ ومن قال: أنا خيرٌ من يونس بن متى فقد كذب»^(٣) وخرَّجه الترمذي أيضاً وقال فيه: حديثٌ حسنٌ صحيح^(٤).

قال القشيري: ومن حمل الاستثناء على موسى والشهداء فهؤلاء قد ماتوا غير أنهم أحياءٌ عند الله. فيجوز أن تكون الصَّعقة بزوال العقل دون زوال الحياة، ويجوز أن تكون بالموت، ولا يبعد أن يكون الموت والحياة، فكلُّ ذلك مما يُجوزُه العقل، والأمر في وقوعه موقوفٌ على خبر صدق.

قلت: جاء في بعض طرق أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال: «لا تُخَيِّرُونِي

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ١٣٦/٥ مختصراً.

(٢) أخرجه الطبري ٢٠/٢٥٨.

(٣) صحيح البخاري (٣٤١٤) و(٣٤١٥)، وصحيح مسلم (٢٣٧٣)، وسنن ابن ماجه (٤٢٧٤)، وأخرجه أحمد (٩٨٢١).

(٤) سنن الترمذي (٣٢٤٥).

على موسى، فإنَّ الناسَ يَصْعَقُونَ، فأكونُ أوَّلَ من يُفِيقُ، فإذا موسى باطِشٌ بجانب العرشِ، فلا أدري أكان فيمن صَعِقَ فأفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله؟» خرجه مسلم^(١). ونحوه عن أبي سعيد الخدري^(٢)؛ والإفاقةُ إنما تكون عن غشيةٍ وزوالِ عقل، لا عن موت بردِّ الحياة. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ أي: فإذا الأمواتُ من أهل الأرض والسماء أحياءُ بُعثوا من قبورهم، وأعيدت إليهم أبدانهم وأرواحهم، فقاموا ينظرون ماذا يؤمرون. وقيل: قيامٌ على أرجلهم ينظرون إلى البعث الذي وُعدوا به. وقيل: هذا النظر بمعنى الانتظار؛ أي: ينتظرون ما يفعل بهم.

وأجاز الكسائي قياماً بالنصب؛ كما تقول: خرجتُ فإذا زيدٌ جالساً^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتِ الصَّالِحَاتُ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ إشراقها إضاءتها؛ يقال: أشرقت الشمسُ إذا أضاءت، وشرقت إذا طلعت. ومعنى: «بِنُورِ رَبِّهَا» بعدل ربِّها؛ قاله الحسن^(٤) وغيره. وقال الضحاك: بحكم ربِّها؛ والمعنى واحد؛ أي: أنارت وأضاءت بعدل الله وقضائه بالحق بين عباده. والظلم ظلماتٌ والعدْل نور.

وقيل: إن الله يخلق نوراً يومَ القيامة يلبسه وجهَ الأرض فتشرق الأرضُ به.

وقال ابن عباس: النور المذكور ها هنا ليس من نور الشمس والقمر، بل هو نورٌ

(١) الحديث (٢٣٧٣): (١٦٠)، وهو في صحيح البخاري (٢٤١١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩١٧)، ومسلم (٢٣٧٤).

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٢/٤.

(٤) النكت والعيون ١٣٦/٥.

يخلقه الله فيضيء به الأرض. وروي أن الأرض يومئذ من فضة تُشرق بنور الله تعالى حين يأتي لفصل القضاء. والمعنى: أنها أشرقت بنور خلقه الله تعالى، فأضاف النور إليه على حدّ إضافة المُلك إلى المالك. وقيل: إنه اليوم الذي يقضي فيه بين خلقه؛ لأنه نهارٌ لا ليلَ معه.

وقرأ ابن عباس وعبيد بن عمير: «وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ» على ما لم يُسمَّ فاعله^(١)، وهي قراءة على التفسير.

وقد ضلّ قومٌ ها هنا فتوهّموا أن الله عزّ وجلّ من جنس النور والضياء المحسوس، وهو مُتعالٍ عن مُشابهة^(٢) المحسوسات، بل هو مُنور السماوات والأرض، فمنه كلُّ نور خلقاً وإنشاء.

وقال أبو جعفر النحاس^(٣): وقوله عز وجل ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ يُبيّن هذا الحديث المرفوع من طرق كثيرة صحاح: «تنظرون إلى الله عزّ وجلّ لا تُضامون في رؤيته»^(٤) وهو يُروى على أربعة أوجه: لا تُضامون، ولا تضارون، ولا تضامون، ولا تضارون؛ فمعنى «لا تُضامون» لا يلحقكم ضمّ كما يلحقكم في الدنيا في النظر إلى الملوك. و«لا تضارون» لا يلحقكم ضمير. و«لا تضامون» لا ينضم بعضكم إلى بعض ليسأله أن يريه. و«لا تضارون» لا يُخالف بعضكم بعضاً؛ يقال: ضارّه مُضارّةً وضراراً، أي: خالفه.

(١) القراءات الشاذة ص ١٣٢، والمحتسب ٢/٢٣٩.

(٢) في النسخ الخطية: مباينة. وهو خطأ.

(٣) في معاني القرآن ٦/١٩٥ - ١٩٦.

(٤) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله ؓ بلفظ: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر، لا تضامون في رؤيته...» وسلف ٤/١٨٠. وأخرجه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري ؓ مطولاً وفيهما: «.. ما تُضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تُضارون في رؤية أحدهما..» يعني الشمس والقمر، وهو في مسند أحمد (١٩١٩٠) و(١١١٢١) ينظر أحاديث الباب ثمة.

قوله تعالى: ﴿وَرُضِعَ الْكِتَابُ﴾ قال ابن عباس: يريد اللوح المحفوظ^(١). وقال قتادة: يُريد الكتب^(٢) والصُّحف التي فيها أعمال بني آدم، فأخذُ بيمينه وأخذُ بشماله^(٣). ﴿وَجَاءَهُ بِالنَّبِيِّينَ﴾ أي: جيء بهم فيسألهم عما أجابتهم به أممهم.

﴿وَالشُّهَدَاءَ﴾ الذين شهدوا على الأمم من أمة محمد ﷺ^(٤)؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقيل: المراد بالشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله، فيشهدون يوم القيامة لمن ذبَّ عن دين الله؛ قاله السُّدي. وقال ابن زيد: هم الحَفَظَةُ الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، قال الله تعالى: ﴿وَحَمَّاتٌ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] فالسائق يسوقها إلى الحساب والشهيدُ يشهد عليها، وهو المَلَكُ المُوَكَّلُ بالإنسان، على ما يأتي بيانه في «ق».

﴿وَقُضِيَ لِيَنَّهُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالصدق والعدل. ﴿وَهُمْ لَا يظَلُمُونَ﴾ قال سعيد بن جبير: لا ينقص من حسناتهم ولا يُزاد على سيئاتهم^(٥). ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ من خير أو شرًّا. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ في الدنيا، ولا حاجة به عزَّ وجلَّ إلى كتاب ولا شاهد، ومع ذلك فنشهد الكتب والشهود إلزاماً لِلْحُجَّةِ.

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَمَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَوَٰجِدَ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ هذا بيانُ توفية كلِّ نفس

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٥٤٢ دون نسبة، وقال: وهذا شاذ، وليس فيه معنى التوعد، وهو مقصد الآية.

(٢) في (م): الكتاب.

(٣) النكت والعيون ٥/١٣٦، وزاد المسير ٧/١٩٨ بنحوه.

(٤) تفسير البغوي ٤/٨٨ وزاد المسير ٧/١٩٨.

(٥) النكت والعيون ٥/١٣٧.

عملها، فيساق الكافر إلى النار والمؤمن إلى الجنة. والزُّمَرُ: الجماعاتُ، واحداً زُمْرَةً، كظُلْمَةٍ وَعُرْفَةٍ. وقال الأخفش وأبو عبيدة^(١): «زُمْرًا» جماعاتٍ متفرقةً بعضها إثر بعض. قال الشاعر:

وتَرَى النَّاسَ إِلَى مَنْزِلِهِ زُمْرًا^(٢) تَنْتَابُهُ بَعْدَ زُمْرٍ
وقال آخر:

حَتَّى اخْرَأَلْتُ زُمْرٌ بَعْدَ زُمْرٍ^(٣)

وقيل: دفعاً وزجراً بصوت كصوت المزمارة^(٤).

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا﴾ جواب إذا، وهي سبعة أبواب. وقد مضى في «الحجر»^(٥).

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ واحدهم خازن، نحو سَدَنَةٍ وَسَادِنٍ، يقولون لهم تقريباً وتوبيخاً: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ أي: الكتب المنزلة على الأنبياء، ﴿وَسُيُذْرَبُكُمْ﴾ أي: يُخَوِّفُونَكُمْ ﴿لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى﴾ أي: قد جاءتنا، وهذا اعتراف منهم بقيام الحُجَّةِ عليهم، ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وهي قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ أي: يقال لهم: ادخلوا جهنم. وقد مضى الكلام في

(١) مجاز القرآن ١٩١/٢، وقول الأخفش ذكره البغوي في تفسيره ٨٨/٤.

(٢) في النسخ الخطية: زمرة، والمثبت من (م). والبيت لم تقف عليه.

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ٤١٠/٣، والسمين الحلبي في الدر المصون ٤٤٦/٩، وقوله:

احْرَأَلْتُ، جاء في اللسان (حزل): احْرَأَلْتُ الإبل، إذا اجتمعت ثم ارتفعت عن متن من الأرض في ذهابها.

(٤) النكت والعيون ١٣٧/٥.

(٥) ٢١٧/١٢ وما بعدها.

أبوابها. قال وهب: تستقبلهم الزبانية بمقامع من نار، فيدعونهم بمقامعهم، فإنه ليقع في الدفعة الواحدة إلى النار بعدد ربيعة ومضر. ﴿فَيَسَّ مَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ تقدم بيانه (١).

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٦﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِئِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ يعني من الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم، ممن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته. وقال في حق الفريقين: «وسيق» بلفظ واحد، فسوق أهل النار طردهم إليها بالخزي والهوان، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل، وسوق أهل الجنان سوق مراكبهم إلى دار الكرامة والرضوان؛ لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك، فستان ما بين السوقين.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ قيل: الواو هنا للتعطف عطف على جملة، والجواب محذوف. قال المبرد: أي: سعدوا وفتحت، وحذف الجواب بليغ في كلام العرب. وأنشد:

فلو أنها نفسٌ تموتُ جميعاً ولكنها نفسٌ تساقطُ أنفُسا^(٢)

فحذف جواب لو، والتقدير: لكان أروح.

وقال الزجاج^(٣): «حتى إذا جاءوها» دخلوها، وهو قريب من الأول. وقيل:

(١) ٣١٧/١٢.

(٢) قائله امرؤ القيس، وسلف ٧١/١٢، والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٢٢/٤ - ٢٣.

(٣) في معاني القرآن ٣٦٤/٤.

الواو زائدة. قاله الكوفيون، وهو خطأ عند البصريين^(١).

وقد قيل: إن زيادة الواو دليل على أن الأبواب فتحت لهم قبل أن يأتوا، لكرامتهم على الله تعالى، والتقدير: حتى إذا جاءوها وأبوابها مفتحة، بدليل قوله: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْنَنَةٌ لِّمَنُ الْأَبْوَابِ﴾ وحذف الواو في قصة أهل النار؛ لأنهم وقفوا على النار وفتحت بعد وقوفهم إذ لا لا وترويعاً لهم. ذكره المهدوي، وحكى معناه النحاس قبله. قال النحاس^(٢): فأما الحكمة في إثبات الواو في الثاني وحذفها من الأول، فقد تكلم فيه بعض أهل العلم بقول لا أعلم أنه سبقه إليه أحد، وهو أنه لما قال الله عز وجل في أهل النار ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتُحْتَّ أَبْوَابُهَا﴾ دل بهذا على أنها كانت مغلقة، ولما قال في أهل الجنة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ دل بهذا على أنها كانت مفتحة قبل أن يجيئوها؛ والله أعلم.

وقيل: إنها واو الثمانية. وذلك من عادة قريش أنهم يعُدُّون من الواحد فيقولون: خمسة، ستة، سبعة، وثمانية، فإذا بلغوا السبعة قالوا: وثمانية. قاله أبو بكر بن عياش^(٣).

قال الله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: ٧] وقال: ﴿التَّيْمُونِ الْمَكِيدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] ثم قال في الثامن: ﴿وَالشَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وقال: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَمَنِيَّةٌ﴾ [الكهف: ٢٢] وقال: ﴿ثِيَابٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥] وقد مضى القول في هذا في «براءة» مستوفى، وفي «الكهف» أيضاً^(٤).

قلت: وقد استدلل بهذا من قال: إن أبواب الجنة ثمانية؛ وذكروا حديث عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ -

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٢/٤.

(٢) في إعراب القرآن ٢٣/٤.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٢٠٠، ونسبه للثعلبي.

(٤) ٣٩٧/١٠ و٢٤٦/١٣.

الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» خرَّجه مسلم وغيره^(١). وقد خرج الترمذي حديثَ عمر هذا وقال فيه: «فُتِحَ له من أبواب الجنة ثمانية أبواب يومَ القيامة»^(٢) بزيادة «من»، وهو يدلُّ على أن أبوابَ الجنة أكثرُ من ثمانية. وقد ذكرنا ذلك في كتاب «التذكرة»^(٣) وانتهى عددها إلى ثلاثة عشرَ باباً، وذكرنا هناك عِظَمَ أبوابها وسَعَتها حَسَبَ ما ورد في الحديث من ذلك، فمن أرادَه وَقَفَ عليه هناك.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ قيل: الواو مُلغاة تقديره: حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها «قال لهم خَزَنَتُهَا»^(٤).

﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ أي: في الدنيا. قال مجاهد: بطاعة الله. وقيل: بالعمل الصالح. حكاه النقاش، والمعنى واحد^(٥). وقال مقاتل: إذا قطعوا جسرَ جهنم حُبِسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فَيَقْصُ لبعضهم من بعض مظالمُ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا وطُيِّبوا قال لهم رضوان وأصحابه: ﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ﴾، بمعنى التحية ﴿طِبْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(٦).

قلت: خرج البخاري حديثَ القنطرة هذا في «جامعه» من حديث أبي سعيد الخُدري قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَخْلُصُ المؤمنون من النار فَيُحْبَسُونَ على قنطرة بين الجنة والنار، فَيَقْصُ لبعضهم من بعض مظالمُ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُوا أُذِنَ لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أهدي

(١) صحيح مسلم (٢٣٤)، وأخرجه أحمد (١٧٣١٤).

(٢) سنن الترمذي (٥٥) والمثبت في مطبوعه مثل رواية مسلم السالفة، وذكر محققو سنن الترمذي أنه في أكثر النسخ: ثمانية أبواب من الجنة.

(٣) ص ٤٥٥ وما بعدها.

(٤) تفسير البغوي ٨٩/٤.

(٥) النكت والعيون ١٣٨/٥.

(٦) ذكره البغوي في تفسيره ٨٩/٤ بنحوه ونسبه لقتادة.

بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا»^(١).

وحكى النقّاش: إنَّ على باب الجنة شجرةً ينبع من ساقها عينان، يشرب المؤمنون من أحدهما فتطهر أجوافهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَسَقَنَّهُمْ رَبِّهِمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] ثم يغتسلون من الأخرى فتطيبُ أبشارهم، فعندها يقول لهم خزنتها: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ وهذا يُروى معناه عن عليٍّ عليه السلام^(٢).

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّهُ﴾ أي: إذا دخلوا الجنة قالوا هذا، ﴿وَأَوْزَنَّا الْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة. قيل: إنهم ورثوا الأرض التي كانت تكون لأهل النار لو كانوا مؤمنين؛ قاله أبو العالية وأبو صالح وقتادة والسُّدي وأكثرُ المفسرين وقيل: إنها أرضُ الدنيا على التقديم والتأخير^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ قيل: هو من قولهم، أي: نعم الثوابُ هذا. وقيل: هو من قول الله تعالى؛ أي: نعم ثواب المُحسنين هذا الذي أعطيتهم^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ﴾ يا محمد ﴿حَاقِقَاتٍ﴾ أي: مُحدِّقين ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ في ذلك اليوم ﴿يَسْبُحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ مُتَلَذِّذِينَ بذلك لا مُتعبدين به؛ أي: يُصلُّون حولَ العرشِ شكراً لربهم. والحاقُونَ أُخِذَ من حاقَات الشيء ونواحيه. قال الأَخفش: واحدهم حاقفٌ. وقال الفراء: لا واحد له إذ لا يقع لهم الاسم إلا مجتمعين^(٥).

ودخلت «مِنْ» على «حَوْلٍ» لأنه ظرف، والفعل يتعدى إلى الظرف بحرف وبغير

(١) صحيح البخاري (٦٥٣٥)، وأخرجه أحمد (١١٠٩٥).

(٢) أخرجه الطبري ٢٠/٢٦٦ - ٢٦٧ عن عليٍّ عليه السلام، وذكره الماوردي في النكت والعيون ١٣٨/٥ عن مقاتل.

(٣) النكت والعيون ٥/٢٨٧، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٣.

(٤) ذكره الرازي في تفسيره ٢٧/٢٣ عن مقاتل.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٣.

حرف. وقال الأخفش^(١): «مِنْ» زائدة، أي: حاقين حول العرش. وهو كقولك: ما جاءني من أحد، فمن توكيد.

الثعلبي: والعرب تُدخل الباء أحياناً في التسييح وتحذفها أحياناً، فيقولون: سَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ، وَسَبَّحَ حَمْداً لِّلَّهِ؛ قال الله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] وقال: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ بين أهل الجنة والنار. وقيل: قُضِيَ بين النبيين الذين جيء بهم مع الشهداء وبين أممهم بالحق والعدل^(٢).

﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: يقول المؤمنون: الحمد لله على ما أثنانا من نعمه وإحسانه ونَصَرْنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا.

وقال قتادة في هذه الآية: افتتح الله أول الخلق بالحمد لله، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] وَخَتَمَ بِالْحَمْدِ، فقال: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣). فلزم الاقتداء به، والأخذ في ابتداء كل أمر بحمده وخاتمته بحمده.

وقيل: إن قول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من قول الملائكة، فعلى هذا يكون حَمْدُهُم لِّلَّهِ تَعَالَى عَلَى عَدْلِهِ وَقَضَائِهِ^(٤). وَرُوِيَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ عَلَى الْمَنبَرِ آخِرَ سُورَةِ «الزمر» فَتَحَرَّكَ الْمَنبَرُ مَرَّتَيْنِ^(٥).
تم تفسير سورة «الزمر».

(١) في معاني القرآن ٦٧٣/٢.

(٢) تفسير الطبري ٢٧٢/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري ٢٧٣/٢٠.

(٤) النكت والعيون ١٣٩/٥.

(٥) أخرجه أحمد (٥٤١٤)، ومسلم (٢٧٨٨) بنحوه، وأورده بلفظ المصنف الذهبي في الميزان ٣٧٨/٢ وفي إسناده عباد بن ميسرة، ضعّفه أحمد ويحيى فيما قاله الذهبي.